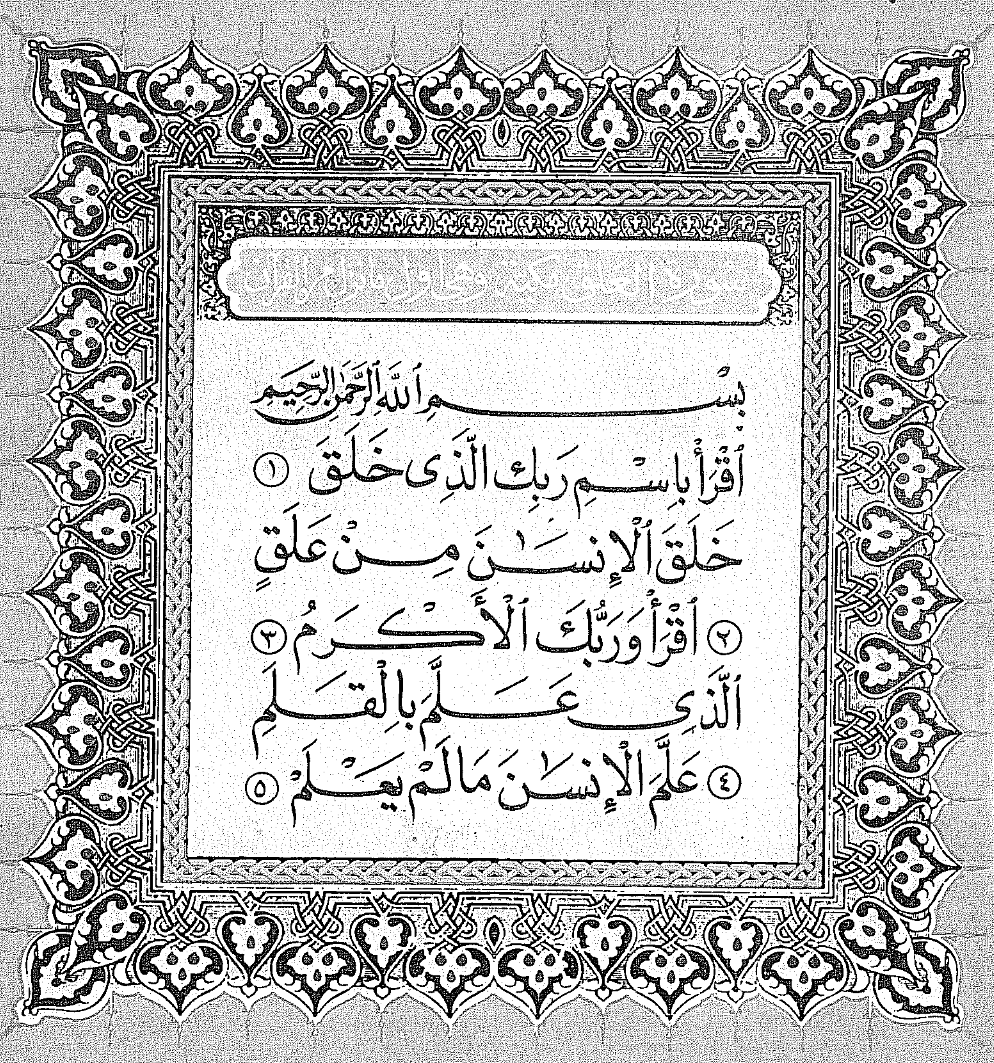
العدد رسالة الصيام والزكاة

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة — العدد ٨١ — رمضان سنة ١٣٩١ هـ — ٢٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧١ م





سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء في دولة قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني يستقبل معالي وزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد الجابر ووفد التهنئة الكويتي .



الوفد الكويتي الرسمي يقدم لسمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين التهاني بمناسبة اعلان استقلال البحرين



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنة السابعة

العدد الحادى والثمانون

غرة رمضان سنة ١٣٩١ هـ

٢٠ أكتوبر « تشرين الأول » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الأفراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت





العلم يدعو للإيمان

للشيخ محمد الغزالي

الى متى يظل الانسان منطلقا فى هذه الحياة كالقذيفة الطائشة ، لا يدرى كيف يسير ، ولا الى أين المصير ؟

والى متى يبقى مندفعا بقواه المذخورة وأهوائه المحصورة حتى اذا نفدت قوته وبطلت حركته سقط حيث طاشت به مطارح الدنيا .

((فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)) .

عجبت لقوم ينكرون الله ، ويجحدون مبتداهم منه ومنتهاهم اليه .

وأعجب من ذلك أن يتوسلوا الى الحادهم بالعلم !! العلم الذى هو نهج الايمان الحق ، ودليل الوجود الأعلى ..

فاذا ذهبت تتعرف شبههم وجدت اما قصورا فى العلم يلحق صاحبه بالجهال ، واما غرورا بأدنى الحظوظ منه .

والمغرور بالقليل يرسل أحكامه مبتسرة مضللة ، لا وزن لها ولا معول عليها .

وفى بلادنا صنف من الناس ليس له زاد من المعرفة ، الا قراءات على هامش الاسفار الضخام التى كتبها العلماء الراسخون .

قابلت أحدهم يوما وما زلت أذكر الحوار العنيف الذى دار بينى وبينه ! كان هذا المغفل يجادلنى فى وجود

الله ، ويسوق كلمات حفظها من نظرية النشوء والارتقاء ، ويريد ليوهمنى أن خلق انسان سوى الشاعر نابض الاجهزة لماح الذكاء أضحى عملا فى مقدور العلم وأن معامل الكيمياء توشك أن تفاجئنا بهذا الاختراع !!

فلما تحسست حصيلة هذا المجادل من علوم الكون والحياة وجدتها قشورا يسيرة ، فاستغربت أن رجلا بضاعته حروف الهجاء فى فن من الفنون يصطنع فيه درجة الامامة التى تمحو وتثبت .. !! وفى ماذا ؟ فى حقيقة الوجود الاعلى .. !

فاكتفيت بان أكشف لهذا المغرور جهالته ، ثم تركته ، وعلى لسانى قول الشاعر —

نجا بك عرضك منجى الذباب
حمته مقاذيره أن ينالا !

وتذكرت قول الله تبارك وتعالى : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » .

من الخرافات الشائعة ، أن كثيرا من عظماء التاريخ لا أخلاق لهم ، وان كثيرا من علماء الكون لا ايمان لهم . !

وأحسب أن ترويج هذه الخرافة بعض ما تلجأ اليه الشياطين فى محاربة الايمان والاخلاق ، حتى تنشأ الاجيال الغضة وهى تحسب التحلل والتمرد أقصر الطرق الى العبقرية والسمو .. !

والحق أن عرا الاخلاق هى التى صنعت الوف الرجال ، وأن الايمان بالله حقيقة مقررة لدى جمهور العلماء الراسخين .

نعم قد تكون لدى هؤلاء العلماء ريب فى أغلب الديانات المشهورة أو فيها كلها . بيد أن العيب لا يرجع الى أولئك العلماء الماديين قدر ما يرجع الى أصحاب الاديان الذين شوهوا رسالات الله ، أما بتحريف الكلم عن مواضعه ، وأما بالاعمال الشائنة التى تضع من أقدار المتدينين ، وما يحملونه من دين .

والقرآن الكريم لم يصم بالكفر الا قوما تكشف لهم الحق فجحدوه ، وعرض عليهم الدين كاملا فأزروا به وانتقصوه ((أن الذين أرتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم)) .

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى .. » .

أقول ذلك بعد ما انتهيت من مطالعة كتاب « العلم يدعو للايمان » وموضوع الكتاب يفهم من عنوانه ، أنه تعريف بالخلائق يقودك الى خالقها وشرح للكون ينتهى بك الى باريه ..

وهل للايمان الذكى العميق نبع يجيش به الا من هذه المطالعة الدارسة للحياة والأحياء ؟ ولأمر ما قال الله عز وجل « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين » .

ان الايمان لا ينمو فى قلب ، ويتخلل شعابه ، ويغمر رحابه الا بمدى ما يعى المرء من آيات الله فى ملكوته .

ومسلك المؤلف العالم فى كتابه هذا ، يقوم على عرض الحقائق المتيقنة عرضا لا أثر فيه للاوهام والفروض ، ولا مكان فيه للمغيبات والنصوص .

انه يحترم قوانين المنطق الحديث والفلسفة الحرة ويستهدى الى غاياته طرقا لا يختلف على صحتها المؤمنون بما وراء المادة والجاحدون لها .

ولقد تابعته بعقلى كما تتبع العين الاشعة الكاشفة ، وهى تنتقل من أقصى الافق الى أقصى الافق أن ثروة هذا الرجل فى المعارف الكونية طائلة هائلة وانك لتعجب أهو أخصائى فى الفلك أم فى التشريح أم فى الكيمياء أم فى غيرها ؟

ولا غرو فهو رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك ، فحديثه عن العالم الكبير الذى نعيش فيه ، وعن القوانين الضابطة لسيره ، وعن الاسرار الكامنة فى متونه وحواشيه حديث الخبير الراسخ المتأنق فى سرده واحتجاجه .. !!

والكتاب كله تفصيل مطرد متسق ، لما أسماه علماء التوحيد عندنا ((بدليل الابداع)) وأساس هذا الدليل على وجود الله لفت النظر الى ما فى الكون من دقة وحكمة .

هل رأيت شريط السكة الحديد الممتد من القاهرة الى الاسكندرية مثلا ؟

انه يربو على مائتى ميل .

والمسافة بين الخطين المتوازيين المهدين لانطلاق عجلات القطار فوقهما لا تزيد ولا تنقص مع بعد الشقة .. !!

الا يدل ثبات هذا العرض على أعداد مقصود لسير القطار فوقه . الا تدل طريقة المد والتمكين على أن القطار المنساب سيجرى بسرعة معينة ؟ ويحمل أثقالا كثيرة ؟

هل اذا رأيت اذرعة القاطرة تغمز العجلات بعد ما حركتها سلسلة مضبوطة منسقة من الآلات والاجهزة، فاذا القطار يتحرك وينهب الارض نهبا . اتحسب أن هذه الاجهزة المتراكبة والآلات المتناسقة قد أخذت أوضاعها العتيدة من غير فكرة صاحبتها وغرض تنتهى به ؟

هذا مستحيل !

على هذا النحو اخذ الباحث الضليع يسوق آلاف الامثلة من حقائق الارض والسماء فاذا أنت أمام حشود لا آخر لها من براهين الوجود الاعلى أسمع اليه يقول —

((قد رأينا أن العالم فى مكانه الصحيح ، وأن قشرة الارض مرتبة الى مدى عشرة أقدام ، وأن المحيط لو كان أعمق مما هو بضعة أقدام لما كان لدينا « اوكسجين » ولا نبات ! وقد رأينا الارض تدور كل أربع وعشرين ساعة ، وأن هذا الدور أن لو تأخر لما أمكن وجود الحياة ، ولو زادت سرعة الارض حول الشمس أو نقصت لتغير تاريخ الحياة أن وجدت تغيرا تاما وقد رأينا هذه الشمس هى الوحيدة بين الآلاف التى جعلت حياتنا على الارض ممكنة وأن حجمها وكثافتها ودرجة حرارتها وطبيعة أشعتها يجب أن تكون صحيحة كلها على ما وجدناها ، وهى

صحيحة فعلا ورأينا أن الغازات التى بالهــــواء منظم بعضها الى البعض بنسب دقيقة . وان أقل تغيير فيهــا يكون قتالا .. الخ)) .

ماذا يعنى ذلك كله ؟ الا يردك الى الله ويعلق كبه ؟

ومع ذلك فيوجد من الناس من يقول لك : ان الساعة التى فــى معصمك قد استدارت تروسهـــا وتشابكت آلاتها وانضبطت دقائقهـــا تحرك عقرب الثوانى ، وتحرك عقرب الساعات بعد ما تحرك عقرب الدقائق كل ذلك بمحض الصدفة !

فهذا الحساب المحصى للزمن لم تشرف على تسجيله وأحكام مراصده فكرة واعية ولا يد صناع !! كذلــك يقول بعض المتعالمين عن السموات والارض وما بينهما .

وقد تحدث هذا العارف الحصيف عن الصدفة وما ينسبها لها الواهمون من تنظيم واقتدار فقال ((ان الصدفة تبدو شاردة غير منتظرة أو غيــر خاضعة لاية طريقة من طرق الحساب عند قليلى الخبرة ، ضعاف الملاحظة .

ولكن اذا كنا ندهش لمفاجآتهـــا فانها — مع ذلك — خاضعة لقانــون صارم نافذ ! لنفرض أن معك كيسا يحوى مائة قطعة رخــام ، تســـع وتسعون منها سوداء وواحــــدة بيضاء ..

والآن هز الكيس وخذ منه واحدة .

ان فرصة سحب القطعة البيضاء هى بنسبة واحد الى مائة .

والآن أعد قطع الرخام الى الكيس وابدأ من جديد .

ان فرصة سحب القطعة البيضاء لا تزال بنسبة واحد الى مائة ، وان فرصة سحب القطعة البيضاء مرتين متواليتين هي بنسبة واحد الى عشرة آلاف (المائة بعد ما ضوعفت مائــة مرة) !!

ثم جــرب مرة أخــرى أو مرتين تصبح الارقام فلكية !!

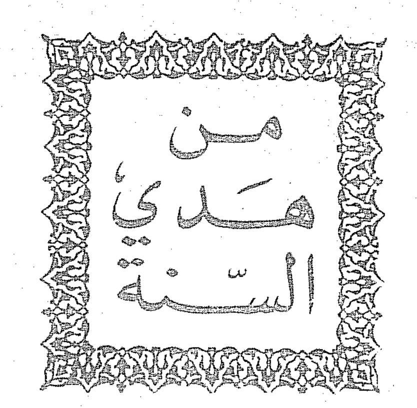
ان نتائج المصادفة مقيدة بقانون صارم تقييدا وثيقا كما أن اثنين واثنين يساويان أربعة .

ويقول فى مكان آخر ((واذا نظرنا الى حجم الكرة الارضية ومكانها فى الفضاء وبراعة التنظيمــــات التى تمسكها فان فرصة حصول بعض هذه التنظيمات مصادفة هى بنسبة واحد الى مليون . وفرصة حدوثها كلهــا لا يمكن حسابها حتى بالبلايين .

ونقول بل لا يمكن أفتراضها الا فى تصور المستحيلات ، فان العقل الذى يمنع أن تبنى المصادفــات دارا مــن بضع حجرات يجزم آكد الجزم بأن هذا العالم الكبير — بأفلاكه وآمادة وحيوانه وجماده وانسه وجنــه — يستحيل ان تنشئه صدفة عارضة !!

ثم هل نحسب ان مئونة ابقائــه وحياطته أيسر من أيجاده لاول مرة ؟

ان كلا الامرين ليس الا الله((الله خلق كل شىء وهو على كــل شىء وكيل . له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله اولئــك هم الخاسرون)) .



للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد
الأستاذ : بجامعة الكويت

القرآن الكريم

« روى الامام مسلم فى صحيحه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى الصفة فقال : « أيكم يحب أن يغدو كل يوم الى بطحان أو الى العقيق ، فيأتى منه بناقتين كوماوين (١) فى غير أثم ولا قطع رحم » ؟ فقلنا : يا رسول الله كلنا يحب ذلك ، قال : أفلا يغدو أحدكم الى المسجد فيعلم (٢) أو يقرأ آيتين من كتاب الله ، خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهن من الابل » (٣) ..

١ ــ كتاب الله المعنى بهذا الحديث الشريف هو القرآن الكريم (قال أبو اسحاق النحوى : يسمى كتاب الله الذى أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ، كتابا وقرآنا وفرقانا ، ومعنى القرآن ، الجمع ، وسمى قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها ، وروى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قرأ القرآن على اسماعيل بن قسطنطين ، وكان يقول : القرآن اسم وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والانجيل، ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن كما تقول :قرأت القرآن) (٤) قال تعالى : **« وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »** الآية ٤١ من سورة فصلت .

والقرآن هو كتاب الاسلام الأول ، بل هو كتاب الدنيا كلها ، فارق بين الحق والباطل ، ما فرط الله فيه من شىء ، أعيا الفصحاء ، وأخذ الطريق على البلغاء ، وأعجز الخلق أجمعين أن يجاروه أو يشاكلوه أو يقاربوه ، حوى كل ما يحتاج اليه البشر من عقيدة وعمل ونظام ، يدرك ذلك من آياته فى يسر وسهولة ، أمر الله سبحانه بتدبره ، وكلف رسوله صلى الله عليه وسلم بتوضيحه وتفسيره وتبيانه : **« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم »** الآية ٤٤ من سورة النحل ، نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين لينذر الناس ويهديهم سواء الصراط ، وقد أعظم الله شأنه ، وأعلى مقامه ، وأبان قوة تأثير ما انطوى عليه من المواعظ والزواجر وعرض بقسوة

قلب الانسان وقلة خشوعه ، لما ورد فى الذكر الحكيم ما يزلزل الرواسى لو عقلت ، ويفتت الصم الصلاد لو وعت ، فقال جل شأنه ((**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** » الآية ٢١ من سورة الحشر ، فأين قوة القلوب من قوة الجبال ، ولكن الله رزق عباده من القدرة على حمله ما شاء أن يرزقهم فضلا منه ورحمة .

وقد ورد فى السنة الشريفة أن القرآن هو الملجأ حين تضطرم الفتن وتحتدم ، وتدلهم الخطوب وتزداد ، فمما أخرجه الترمذى (٥) عن على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله ، وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ فيه الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم تنته الجن اذ سمعته أن قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) وروى البخارى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وروى مسلم عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل الثمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر) وفى رواية (مثل الفاجر) بدل (المنافق) وروى البخارى مثل نصه ، وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه (٦) وهو عليه شاق له أجران) أجر التلاوة وأجر المشقة ، قال القرطبى المفسر المتوفى سنة ٦٧١ هـ رحمه الله ورضى عنه : « ودرجات الماهر فوق ذلك كله ، لأنه قد كان القرآن متتعتعا عليه ثم ترقى عن ذلك الى أن شبه بالملائكة . والله أعلم » . وأخرج ابن ماجة فى سننه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقال لصاحب القرآن اذا دخل الجنة : اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه » وقالت أم الدرداء : دخلت على عائشة رضى الله عنها ، فقلت لها : ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأه ممن دخل الجنة ؟ فقالت عائشة رضى الله عنها : ان عدد آى القرآن على عدد درج الجنة. فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن) .

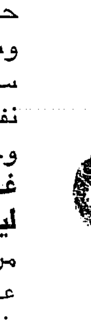
والمقصود بقراءة القرآن ليست مجرد التلاوة وتكرار الألفاظ الشريفة وانما لا بد أن يتابع ذلك العمل والاخلاص وابتغاء وجه الله تعالى بتعلم القرآن وتعليمه ، وإلا كان وباله على صاحبه أشد من غيره ،

والاخلاص لله تعالى مطلوب فى كل عمل وبدونه لا يقبل ، ففى الذكر الحكيم (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أى لا يرائى ، الآية ١١٠ من سورة الكهف ، وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة ، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جرىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت (ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها ، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار) وأورد الترمذى هذا الحديث الشريف وزاد فيه : ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى فقال : يا أبا هريرة: أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة) وروى أبو داود والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة) .

ونظرة الى العاملين فى حقول الحياة عامة ، ترى المتأمل قيمة العمل النامى عن اخلاص وايمان وخوف من مراقبة العلى الكبير ، وتظهر نتيجة ما ينشأ عن عمل المرائى الذى يخادع فيما يأتى وما يذر ، فالأول يشعر فى قرارة نفسه وحبات قلبه أنه انما يبذل قوته وخبرته وعلمه وكل ما يتصل بما يعمل مما يوصله الى الكمال المنشود ارضاء لله لأنه واجبه الصادر عن نفسه المفطورة على الاخلاص المطبوعة بالمعرفة الحقة القريبة من جانب الله سبحانه الذى يدرك خلجاتها ، وما يعتمل بداخلها ، لا تخفى عليه خافية ، انه يرانا أسررنا أو أعلنا ، جاهرنا ، أو خافتنا ، ولكل هذا تظهر النتائج باهرة لا مجال فيها لقول أو نقد أو ارتياب ، وهذا شأن بناة الدعوات الصالحة ، وديدن العلماء الفاقهين لصلتهم برب الوجود وما حوى ، فان شادوا بهر العالمين ما شادوا ، وان رسموا خطة هداية ، وسلوك كمال ، ومسارب رشد ، لا تملك قوى الدنيا العاقلة الا أن تطأطىء هاماتها لما أدوا من واجب وما قاموا به من عظائم ، أرقب هؤلاء فى سجلات أصحاب الرسالات المصطفين الاخيار ، فى أضابير أساطين العلوم المختلفة قديمها وحديثها فى مقيمى المجتمعات الفاضلة على أسس العدالة والتراحم والتواد والتعاطف ، لا على جماجم المظلومين وسحق عظام المستضعفين ، وصرخات الأرامل واليتامى ، والوالدات والأيامى .

والثانى المرائى المداهن لا ينبت الا خبيثا يثمر سما وهلاك الحرث والنسل ، ان قاد أباد من تزعم ، وان علم أهلك من تعلم ،

والقرآن الكريم ، عــرف مرماه ومغزاه ، وأدركت اتجاهاته وتوجيهاته مصدره رب العــــالمين ، ومبلغــه سيد المرسلين ، فمن حمله ليـؤدى حقه كان له هداية ونورا ، ومن اتخذه وسيلة ليضل الناس على علم ، كان ساعيا الى حتفه بظلفه ، فقــد ظلم نفسه ومن أحاط به ممن اغتروا بقوله وخدعهم ظاهر قوله **(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار)** الآية ٤٢ من سورة ابراهيم ، فاللهم أقـــل عثراتنا ، واجعل صلتنا بقرآنـــك خالصة لوجهك ، ووفقنا وارزقنا القوة والسداد للقيام بحق ما علمتنا ، وبرئنا من الرياء والمراء انك وحدك سميـــع الدعاء ..



٢ ـــ أدرك شانئو الاســـلام والحاقدون على رسوله وأمته عظمة القرآن ، ومدى أهميته وأنه لا اسلام بدون كتاب الاسلام ، الذى لا تبتغى **به العاجلة وكفى، فهى وسيلة وليست** هدفا ، فليحصل فيها عامروهـــا ما يسعد إقامتهم فيها وليحملـــوا الانتاج الأهم والزاد الكافى الى دار أخرى هى للاقامة الدائمة ، لا ازعاج فيهـــا لمن اتخذ اليه هــــواه وغره سراب لمن اتخذ الهه هواه وسحره سراب خادع . فمات ظمأ ولم يبتل بالماء فمه» والذى يدعو الى العجب أن الشانئين للاسلام الحاقدين على كتابه لم يقيموا **عداوتهم على قواعد منطقية أو خلقية** ولم تنشأ عن تبصر وروية ، وانما هو العداء الآثم ، وضراوة الأمارة بالسوء والرغبة الملحة لاقتناص (أم دفر) **والاستحواذ على متاعهـــا اعــوجت** الوسيلة أو استقامت **(اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله)** وماذا فعلوا ؟ ! : لقد أثاروا الشكوك حول المصدر ، وقشع غاشيتهم نور من الله وفضل ، فحاموا حول الحملة (بفتح الحاء المهملة والميم) ونوعوا وسائل الاغراء والفتنة ، وأجـــادوا تصويب السهام فى غفلة من غفل ، وغيبة وعى ، فأوقعـــوا فى الارض الفساد وسار الركب المعـــادى يحمل ألقابا علمية فى كل حقبة من زمان عمر القرآن العزيز ، وقاربوا النجاح لأنهم خططوا باتقان وعملوا دائبين ، وكان ذلك تحت ســــمع المسلمين وبصرهم وبلغة القرآن ، ولما خشوا أن تتطلع وحدات من أبناء جلدتهم الى مكنون سر الكتاب الحكيم فتصيخ سمعـــا وتستجيب ، وربما لا يستطيعـــــون مقاومة حربين أحداهما شبت فـــى حصونهم ، فقالوا لقومهم : لننقل لكم هذا الذى بهركـــم حين شاهدتموه بنقل أمة أمية من بداوة وجهالة الـــى قمم حضارة وحكمة ، ومن ضياع فى بيداء الى سلطـــان كسرى وقيصر ، على أن ذلك كان ضرورة تاريخية ، وسنة كونية ، وظاهرة تتكرر فليست هى الأولى ولا الأخيرة ، وهاكم الدليل، فتلك معان خيالية هزيلة وعبارات بدائية سبق اليها شعراء سبقوا فى الزمان ، واذا غلبهم الحق وخافـــوا ضوءه ولم تقو عيونهم على مواجهته ، موهوا حوله بدخان الدعايات الباطلة فيخفى الدر المكنون ولكن الى حين ، وهكذا نقلوا معانى ـــ علـى حسب أهوائهم ـــ من القرآن محرفين الكلم عن مواضعه الى كل لسان أدركـــوا انتشاره وحاولوا وضع العملاق فى قمقم ، وما استطاعوا النجاح الكامل ولكن أحدثت فعالهم دويا مزعجا وبين يدى الآن عديد مما سجلوا وما زيفوا وحرقوا كله مدون فى ثلاثمائة مؤلف أو تزيد ، ويحتاج نقض ما قدمـــوا ـــ زيفا ـــ الى جهود وجهود مصحوبة بالصبر والمثابرة والشجاعـــة التى تقاوم مغرياتهم وتهدم مفترياتهم .

٣ ـــ مناسبة هذا القـــول لزمان

صدوره ترجع الى عاملين أحدهما هنا فى هذا الوطن العربى الاسلامى الأصيل (الكويت) فقد صحت عزيمة وزارة الأوقاف على افتتاح دار القرآن الكريم فى مطلع العام الدراسى ١٣٩١ هـ ١٣٩٢/١٩٧١ — ١٩٧٢ وكان هذا أول عمل فعلى من نوعه فى تلك الديار ، وهو مشروع ثار فيه الكلام منذ أعوام سلفت ، وعاقت تنفيذه فى حينه عوائق ، وهنا لدى التنفيذ بدت ظاهرة بهرت وأدهشت القريبين من المشروع تلك هى الاقبال العجيب من طبقات الشعب المختلفة على الانتساب الى تلك الدار ، بدو من الصحراء ، وحضر فى المدائن ، وموظفون فى دواوين الدولة ، بل وأصحاب جاه ومال ، كل يرغب فى الدراسة للاجادة والتجويد ، فأبان ذلك عن نفوس كريمة عامرة بحب القرآن ، ولا تحتاج الا الى زند لتورى وتشتعل نارا تحرق أعداء القرآن والشىء من معدنه لا يستغرب .

وهل ينبت الخطى الا وشيجه
وتغرس الا فى منابتها النخل

والعامل الثانى دعوة تلقيتها من كبير من علماء الأجانب الذين يتبوأون أعلى المناصب العلمية فى أرقى جامعات العالم المعاصر ، ولبيت فماذا وجدت ؟ فى قرية نائية فى ريف فرنسا تبعد عن باريس ثمانى ساعات بقطار سريع (أكس بريس) ثم ما يقرب من ستين كيلو مترا عن آخر محطة للقطار تقطع بالسيارة لقيت الرجل العالم يجلس فى بهو واسع من داره القروية الجميلة وتتناثر حوله كتب الاسلام وفى مقدمتها التفاسير مخطوطة ومطبوعة (٧) ، وكان اللقاء للبحث والدرس فميزة هذا العالم اللوذعى ، والحبر النحرير أنه يطلب موارد العلوم فى منتجعها مهما بعدت الشقة ، وهذا ديدن العلماء المخلصين فيما يتصدون له من عمل ، هو يكتب مقدمة لترجمة جديدة لمعانى القرآن ، أعجبته تلك الترجمة لأنها منصفة للقرآن ويجب أن يستبين كل ما يتصل بما يكتب ، وكان لقاء علميا جميلا أثار شجنى فأصحاب القرآن المنزل على رسول الله يغطون فى ثبات عميق ، وان صحوا فلكى يشاكلوا غيرهم ، لا ليدلوا بحقائق القرآن لتدرج على أرضهم فتجمع شملهم وتوحد متفرقهم ولا أملك الا أن أنادى حى على الفلاح: يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به ، يا قومنا : استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، حى على الفلاح فقد طال النوم والصلاة فى محراب القرآن خير من النوم ، هيا اغدوا كما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المساجد فتعلموا القرآن وعلموه فذلك خير لكم من حمر النعم ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

---

(١) كوما وين : تثنية كوماء ، وهى الناقة المشرفة السنام عالية .
(٢) فيعلم : ضبط بتشديد اللام من التعليم ، وبتخفيفها من العلم .
(٣) خلاصة معنى الحديث : الدعوة الى العمل لنشر الكتاب وحفظه وتطبيق أحكامه واشاعته بين العالمين ، ونهى عن أن يتخذ مهجورا فيأسى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٤) عن لسان العرب مادة قرأ .
(٥) ورد هذا الحديث فى صحيح الترمذى جـ ٢ ص ١٤٩ طبع بولاق بمصر مع اختلاف يسير فى بعض كلماته .
(٦) التتعتع : التردد فى الكلام عيا وصعوبة .
(٧) للتاريخ والحق أقول : لقد كان لكبير من رجالات الكويت المخلصين لدينهم ووطنهم الفضل الاوفى فى وصول الكتب الاسلامية الاصيلة الغالية الثمن النادرة الوجود الى معقل هذا الرجل والى أكبر مركز علمى عالمى مشتغل بالبحوث الفلسفية الدينية والادبية عامة منذ قرون (مقره فى باريس) يؤمه طلاب العلم من أنحاء المعمورة .



للدكتور : محمد البهي

① إنه السبيل لوقوف المؤمن، في صبر وإصرار في وجه الحرمان المؤقت ومشقته
② ولنجاحه في الاختبار بنعم الله وعدم الافتتان بها ..

* ولكى يستطيع المؤمن بالله وحده أن يلتزم بما آمن به ، وأن يلتزمه مختارا ، وأن يجتاز العقبة النفسية الداخلية ، وهى هواجس الشهوة والهوى ، فى سبيل التنازل عن بعض ما فى يده ، ـ كثر أو قل ـ تحقيقا للمنفعة العامة للمال .. كانت عبادة الصوم كتجربة نفسية وكعبادة يتقرب بها الى الله ، يجب أن يمر بها المؤمن ، ويستمر من وقت لآخر فى مباشرتها .

ولكى يستطيع المؤمن بالله وحده ، أن يواجه كذلك مشقة الحرمان ويتغلب عليها ، حتى لا يذل لفتنة المتع الحسية واغرائها ، وعندئذ يقع تحت التبعية لها من جديد فيسىء الى ايمانه بوحدة الألوهية ، وينتقل الى سلوك الشرك والتقلب فى العبادة من أجل هذه المتع .. كانت عبادة الصوم هى السبيل الواضح للمؤمن فى الوقوف فى عزم وصبر واصرار أمام مشقة الحرمان المؤقت .

وتحقيق المنفعة العامة للمال عن طريق الصوم ليس اذن عطفا على من تعطى اياه ، بقدر ما هى واجبة الأداء فى صورة لا يشق على النفس

أداؤها ، عندئذ . فأوجه المنفعة العامة ليست فحسب رعاية العاجز عن السعى فى الحياة ، ولا تغطية حاجة من يقصر سعيه عن ضرورات معيشته . وانما هى عديدة ، بقدر ما تحتاجه المصلحة العامة للأمة .

فالصوم الآن — وهو التجربة النفسية على الحرمان كقربى الى الله — يستهدف تحقيق « القدرة » فى الذات ، وهى حقيقة نفسية تصور حرية الارادة الفردية فى تحديد الموقف وتعيين سبيل السلوك فى الحياة ، وبهذه القدرة الذاتية يفى المؤمن بما يلتزم به ، ويكون وفاؤه ليس عن الزام خارجى لـه .

هذه التجربة النفسية على الحرمان هى الكفيلة بتحقيق « النظرة » الاسلامية فى المادية وفى المال معا .

فاذا كانت النظرة الى المادية على أنها مصدر الفواحش والمنكر والبغى والطغيان والعبث والفساد فالوقاية من الاستسلام الى الاتجاه المادى فى الحياة ، أو تحدى هذا الاتجاه انما هو فى « استساغة » الحرمان استساغة نفسية وعدم اعتبار أنه شقاء ، بل اعتبار أنه ضرورة من ضرورات الحياة البشرية تقع ، كما تقع أية ضرورة أخرى من ضروراتها .

واذا كانت النظرة الى المال فى الاسلام أيضا على أن وظيفته وظيفة اجتماعية ، أى ان منفعته عامة للكل ، فالسبيل الى تيسير أمر هذه الوظيفة الاجتماعية للمال ، وتحويل تلك النظرة الى ما يشبه « العادة » فى سهولة أدائها .. يكمن فى تجربة الصوم كعبادة . فالامساك عن المتع الحسية وقتئذ — أى وقت كون الصوم عبادة — ليس عن عجز فى اقتنائها اذ هى موجودة ومتوفرة ، وانما عن عبادة وقربى الى الله تعالى ، عن اختيار ومشيئة .

وما يسمى بـ « القناعة » ليس الا امساكا باختيار القانع عن متع حسية وليس عن عجز عنها ، بل هناك رغبة فى رضاء الله ، بدلا عنها (عن هذه المتع) .

وتجربة الصوم كعبادة اذا كانت تجربة على استساغة الحرمان استساغة نفسية من المتع الحسية وشهوات النفس فيها ، وليس عن عجز وانما عن قدرة ، واذا كانت ضرورة فى حياة المؤمن كسبيل لتحويل النظرة الاسلامية الى « واقع » فى نفس الذات ، هو « عادة » أو « ارادة » أو « طاقة » على الصبر والتحمل .. فانه لا بد أن يكلف بها من يقدر عليها ، وان تكون فترتها فى استطاعة الانسان ، وأن تتخلل حياة الانسان ، كما يتطلب شأن العبادة التكرار ، وكما تتطلب القوى النفسية وجود البواعث لحيويتها .

وهنا نجد القرآن الكريم يحدد فى الآيات التالية ما تتطلبه هذه التجربة

من أوضاع كى تبقى حية ذات فعالية فى حياة المؤمن بالله :

« يا أيها الذين آمنوا ! :

١ — « كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون . أياما معدودات ،

٢ — « فمن كان منكم مريضا ، أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى « الذين يطيقونه فدية : طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن « تصوموا خير لكم ، ان كنتم تعلمون .

٣ — « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من « الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه .

« ومن كان مريضا ، أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم « اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ،

٤ — « ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » (١) .

... فأولا : يحدد القرآن فرضية الصوم ووجوبه . وهو فريضة وواجب منذ رسالة الله على الأرض . وفرضيته ووجوبه اذن جزء لا يتجزأ من دين الله ، وهو الاسلام : « كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم » .

وكما يحدد وجوبه يوضح هدفه فى قوله : « لعلكم تتقون » وهو اتقاء فتنة المادية واغرائها ، والوقاية من الانسياق فى تيار الاتجاه المادى فى الحياة الذى يوصل عادة الى الطغيان والفساد .

... وثانيا : يربط وجوب أدائه باستطاعة الانسان البدنية . فان شق على الانسان فى وضع معين له كالسفر والمرض ، فيرخص له بالفطر ، على أن يعيد صوم الايام التى أفطر فيها فى وقت آخر لا يشق عليه أداؤه فيه . « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

ومع هذه الرخصة للمسافر والمريض فالذى يستطيع منهما الصوم يجب عليه أن يخرج من طعام اليوم ما يكفى فردا عن كل يوم يفطر فيه ، وان زاد فيما يخرجه بحيث يكفى أكثر من فرد واحد فهو خير له يثاب عليه . ((وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا ((فهو خير له))

ومع ذلك فصوم المسافر أو المريض — الذى يستطيع منهما الصوم — خير لأى منهما من الافطار والفدية : ((وان تصوموا خير لكم)) . لأنه سينفع الصائم فى شد عزيمته وابعاد التراخى فى قوة احتمال الحرمان ومشقته : ((وأن تصوموا خير لكم ، ان كنتم تعلمون)) .

و ((الطاقة)) على الصوم التى تتحدث عنها الآية هنا : ((وعلى الذين يطيقونه)) هى طاقة المسافر أو المريض — وليس القصد طاقة من يظن منه عدم الطاقة لشيخوخة مثلا — أثناء سفره أو أثناء مرضه . لأن عدم الصوم مع الطاقة للمسافر والمريض يكون رخصة له عندئذ . والا اذا كان أى من المسافر أو المريض يضره الصوم يكون افطاره واجبا ، وليس رخصة : يجوز له بسببها أن يفطر ، كما يجوز له أن يمسك .

... وثالثا : يحدد وقت أداء الصوم العبادة والفريضة بشهر رمضان المبارك . وهو بهذا التحديد يهيىء جوا روحيا خاصا يزيد من فعالية الصوم فى ((التجربة)) فى سبيل احتمال الحرمان ومشقته . فشهر رمضان هو الشهر الذى أنزل فيه القرآن بهدايته وببيانه للطريق المستقيم . وهو الطريق

الذى يجنب من يسلكه انحرافات المادية وعبثها : ((شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه)) .

وأما ما جاء مرة أخرى فى شأن المريض والمسافر فى قوله هنا : ((ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)) .. فجاء ليوضح سبب الرخصة فى عدم الصوم أثناء المرض أو السفر ، وهو دفع حرج المشقة التى قد تبعد الصوم عن كونه ((عبادة)) أى قربى تنطوى على مسرة يتقرب بها الصائم الى الله جلت قدرته : ((يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة)) .

وقد فهم بعض الذين يعالجون شئون التفسير لكتاب الله أن ما جاء فى قوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » هو نسخ لما ورد من قبل فى الآية السابقة ، فى قوله : « وعلى الذين يطيقونه : فدية طعام مسكين » . وهو فى هذا التفسير يقطع صلة هذا القول : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » عن المريض والمسافر فى الترخيص لهما بالفطر ، مع استطاعتهما مباشرة الصوم ، ويجعل هذا الحكم مستقلا ومنشئا وضعا خاصا فى عبادة الصوم وهو : أن القرآن فى بداية تقرير عبادة الصوم جعل القادرين من المؤمنين مخيرين بين الصوم أو الفطر مع الفدية وهى اطعام المسكين . ثم نسخ هذا الحكم بما جاء فى الآية بعد ذلك من قوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » فرفع التخيير عندئذ وأوجب الصوم وحده .

ولكن ماذا يقول صاحب هذا التفسير فى بدء النداء للمؤمنين هنا فى تقرير الصوم : « يا أيها الذين آمنوا : كتب عليكم الصيام » ؟ . أليس هذا القول مساويا لقول الله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ؟ ان الله سبحانه وتعالى أعاد أمر الوجوب هنا فقط بالنسبة للمدة وهى الشهر . ولكن وجوبه كعبادة تقرر بما جاء فى النداء السابق : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » .

... ورابعا : يطلب من المؤمنين أن يشكروا الله جلت قدرته ويكبروا ويهللوا بذكره وبعظمته على فريضة الصوم كعبادة فى حياة المؤمن ، وعلى ما هداهم اليه فى تجاربهم ليكونوا خلقين بانسانيتهم ، وهى التجارب التى تتمثل فى العبادات . فكل واحدة منها وان اتصلت بمجال معين فى حياة الانسان اتصالا وثيقا فهى تتصل بالجانب الآخر بقسط له أثره فيه ، وهى كلها تصقل الانسان بما تكونه من عادات لديه ، وبما تنشئه من ملكات وقدرات خاصة تساعد على تحويل « النظر » الى « واقع » و « الفكر » الى « تطبيق » .

ولولا هداية الله — ولذا يجب على المؤمنين به شكره — لما استطاع أن يخرج الناس من اغراء المتع الحسية والتبعية لها :

« أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ، واتبعوا أهواءهم » (٢) .

ان الامساك — لاداء فريضة الصوم — وقت الرخاء ، أى وقت اقتناء المتع الحسية واستطاعة الاستمتاع بها ، يعبد للمؤمن طريق النجاح فى

الاختبار بالنعم التى يفيض بها الله عليه ، والتى لها اغراء وبريق يخدع ويفتن : « انا جعلنا ما على الارض زينة لها ، لنبلوهم : ايهم أحسن عملا »(٣) فالصائم عن قدرة — وليس عن عجز — هو الذى لا يدع نفسه لخداع ما على الارض من زينة ويتورط فى بريقها ، وبذلك ينحرف فى مسلكه ، ويتخذ من تلك النعم طريقا للظلم والطغيان والفساد بسبب تبعيته لما أترف فيه حينئذ .

وذلك هو الطريق لاجتياز الابتلاء بتفاوت المستويات فى الاقتناء واختلاف درجات الثراء ومنازل الغنى بين الناس . فكما جعل الله ما على الارض زينة لاختبار أثرها على النفوس ، كذلك جعل تفاوت الغنى والمال امتحانا للنفوس الضعيفة والقوية ، والصادقة فى ايمانها والمترددة فيه : « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ، ان ربك سريع العقاب ، وانه لغفور رحيم » (٤) .. سريع العقاب لمن جنح بسبب ما آتاه الله من مال ورزق وأصر على غيه فيه . وغفور رحيم لمن خدع به وقتا ما ثم تاب الى الله وسلك الطريق السوى ، فى الاستمتاع به من جهة ، وفى تحقيق المنفعة العامة لوظيفة المال الاجتماعية من جهة أخرى .

وكما يكون الابتلاء باقتناء النعم ، وبالتفاوت فى الثروات ، يكون بالحرمان أو بالأزمات فى ذلك : « كل نفس ذائقة الموت ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون » (٥). فالحياة عرضة للكثير والقليل، وللرخاء والضيق ، والرخاء أو الكثير اذا كان للانسان ولنشاطه فى السعى أثر فيه فان القليل أو الضيق قد يكون نتيجة لعوامل بعيدة كل البعد عن ارادة الانسان وقدرته : « ولنبلونكم بشىء من الخوف ، والجوع ، ونقص من الاموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » (٦) .

والمؤمن الذى يتقرب الى الله بعبادة الصوم وبامساكه عن المتع ، رغم وجودها بين يديه هو ذلك الذى تمر عليه الأزمات والشدائد بسبب نقص فى الأموال والأنفس والثمرات ، دون أن تحدث أثرا سلبيا فى نفسه ، حتى يهتز ويستسلم لشهوة النفس ، ويسأل ويلح فى السؤال لقضاء ما تشتهيه ، بطريق أو بآخر . وهو نفسه الذى تدرب على الصبر والاحتمال . فاذا ما كانت الأزمة فى الأنفس فانه ينقل صبره واحتماله الى مجال فقدها ، دون أن يضطرب ايمانه بالله وباليوم الآخر ، فيميل الى الاتجاه المادى فى الحياة فينكر ربه وآخرته . لأن الاحتمال قدرة وطاقة ، أينما تكون الأزمة تواجه بها .

ولذا فهو من أصحاب الهداية ، وممن رضى عنهم ربهم برحمته وتوفيقه فتمرس على الصبر بتدريب نفسه على الامساك فى الرخاء والشدة على السواء .

وربما قبل الابتلاء بالدنيا ومتعها ، اقتناء وحرمانا ، يواجه المؤمن بالله الابتلاء فى الايمان نفسه .. يواجه الابتلاء فى مدى صدق ايمانه واخلاصه فيه .. يواجه التعرض بسبب الايمان للقتال مرة ، ولايذاء الاعداء بالقول والتآمر مرة أخرى : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين

أوتوا الكتاب من قبلكم ، ومن الذين أشركوا ، أذى كثيرا ، وان تصبروا وتتقوا ، فان ذلك من عزم الأمور » (٧) .

ان المؤمنين سيختبرون فى أموالهم بانفاقها فى الجهاد فى سبيل الله ، وسيختبرون فى أنفسهم بالمواجهة فى قتال الاعداء ، وسيختبرون بالتعرض للسخرية والاهانة والتشهير وترويج الاكاذيب .. سيختبرون فى كل ذلك من أجل الايمان .

وما لم يكن لهم صبر وتحمل ، وما لم يدربوا على حماية النفس من التأثر بالدنيا فى متاعها والحرمان منها على السواء ، لا يكون لهم عزم ولا تكون لهم ارادة وقوة نفسية خاصة يتقون بها ما يوضعون فيه من أحوال ، من شأنها أن تهز الايمان وتضعفه . ولن يكون هذه المعانى النفسية ويجعل فى أعماق الذات « واقعا » يواجه الابتلاء الا عبادة الصوم .. الا الامساك عن نية وارادة ورغبة .. الا الامساك فى تحد لشهوة النفس ، وفى تحد لمتع الحياة المتوفرة ، وفى تحد للاغراء ولبريق هذه المتع الحسية .

ان الابتلاء فى شأن الايمان لا ليوضح حسن الاتجاه أو سوء الاتجاه قبل الاغراء بزينة الدنيا ومتعها . وانما ليظهر العناصر الايمانية الحقيقية والعناصر الاخرى الانتهازية . حتى يكون بناء المجتمع بناء سليما : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ، والصابرين ، ونبلو أخباركم (أحاديثكم عن ايمان النفس ومدى صدقها) » (٨) . ان الابتلاء فى شأن الايمان لبيان هذه القوى الثلاث : قوة الجهاد ، وقوة الصبر ، وقوة الصدق فى التعبير عن الحقيقة النفسية للايمان ذاته .. قوة الجهاد بالنفس والولد والمال ، وقوة الصبر على المشقة والحرمان ، وقوة الصدق فى تحمل نتائج الايمان .

وفى سبيل الابتلاء فى شأن الايمان بالله يقص القرآن : كيف وضع المؤمنون أمام حقيقتين ، ويوضعون فى كل وقت أمامهما .

الحقيقة الاولى : أن نصرهم على أعدائهم يجب أن يكون بيدهم هم ، طالما يسلكون طريق الحق صدقا ، بينما يتبع الاعداء طريق الباطل . والله قادر على نصرة المؤمنين ، ولكنه يتركهم لمدى صدقهم فى ايمانهم :

١ ــ « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ،

٢ ــ « والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وآمنوا بما نزل على محمد ،
« وهو الحق من ربهم ، كفر عنهم سيئاتهم ، وأصلح بالهم .
« ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ، وان الذين آمنوا اتبعوا
« الحق من ربهم ، كذلك يضرب الله للناس أمثالهم .
« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم
« (أضعفتموهم) فشدوا الوثاق (خذوهم أسرى) ،
« فاما : منا بعد ، واما فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها ،

٣ ــ « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض ،

٤ ــ « والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم » (٩) .

... فاتباع طريق الحق — ان كان اتباعه فى صدق واخلاص — فلا بد أن يوصل الى النصر . لأن الطريق الآخر — وهو طريق الباطل — لا يوصل الا الى الخراب والتدمير .. لا يوصل الا الى العبث والفساد ، والى الطغيان .. لا يوصل الا الى الانقسام بين كبراء وزعماء يتبعون ما أترفوا فيه ، وآخرين أذلاء مستضعفين ليس لهم من حظ فى حياتهم سوى الشقاء والحرمان وذل الضعف والتبعية .

واذن الباطل لا يؤدى الى بقاء ، وبالتالى لا يؤدى فى ذاته الى نصر لأتباعه . فاذا كان أهل الحق — وهم أهل الهداية والترفع عن الاغراء بالاتجاه المادى فى الحياة ، وتجنب الظلم والعبث والفساد — أصحاب صدق واخلاص فيما يقولون ويتبعون ، فلهم البقاء ولهم النصر ، طالما غيرهم ليس له بقاء ولا نصر .

ومن أجل هذا المصير لكل من أصحاب الاتجاهين ، فالله جلت قدرته ، فى اظهار كل على حقيقته ، يبلو بعضهم ببعض : « ولكن ليبلو بعضكم ببعض » .

فاذا أضيف الى مصير « الحق » فى النصر : ان الذين يقاتلون فى سبيله لن يضل لهم عمل ، ولن يذهب سدى .. كان هناك دافع آخر يضاعف فى نصر الحق لذاته . واذن فالمؤمن الصادق فى ايمانه فى مواجهته لعدوه فى قتال ، لا بد أن ينتصر عليه .

الحقيقة الثانية : أن المؤمنين فى قتالهم مع الكفار — فى أحد — وضعوا أمام هزيمة ، جرتهم اليها نفوسهم ، تحت التأثر بشهوة الغنائم والحصول على المنفعة المادية ، بعد ما رأوا أعداءهم يهربون من مواجهة القتال . فأسرعوا الى جمع الاسلاب وتفرقوا فى القتال ، فعاد اليهم أعداؤهم ونالوا منهم وهزموهم فى تلك الموقعة .

انتصروا أولا بفعل الدفعة الأولى من الايمان ، ثم طرح بعضهم الايمان جانبا وانجذب الى الاتجاه المادى فى الحياة وأغواه فكانت الهزيمة للمؤمنين جميعا . وضعوا أمام النصر والهزيمة فى موقعة واحدة ، وأمام أثر الايمان بالله والفتنة بالمتع الحسية فى تعاقب ليس بينهما فاصل زمنى ، كى يشهدوا بأنفسهم سبب النصر وسبب الهزيمة ، وكى يتضح الصادق فى ايمانه والمنافق فيه .. كى يتضح الذى أخذته تجربة الصوم فى صلابة الارادة وقوة العزيمة أمام المغريات الفاتنات أو فى مواجهة الحرمان والازمات ، من ذلك الذى لم يفد من عبادة الصوم الا امساكا عن الأكل والشرب من يوم الى آخر حتى اذا انتهت مدته عاد الى الانجذاب نحو المتع المادية ، والى الشكوى من الحرمان ، ان أصابه يوما ما .

وهذه الحقيقة الثانية : يقصها القرآن الكريم فى الآية التالية ، والآيات الأخرى بعدها .

١ — « ولقد صدقكم الله وعده (بالنصر) اذ تحسونهم باذنه (تحصدونهم وتبيدونهم) ،

٢ — «حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر ، وعصيتم من بعد ما أراكم « ما تحبون : منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم

« عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين » (١٠)

. . .

وبجانب الصوم الذى هو عبادة وفريضة — وهو صوم رمضان — هناك صوم النافلة ، وهو غير محدود فى زمنه وأيامه ، وانما على حسب الاستطاعة البدنية ، بحيث أداؤه لا يخل بواجب آخر كواجب السعى وتحصيل الرزق ، أو واجب الزوجية ، أو واجب الأمة والجماعة فى ميدان قتال مثلا .

وبجانب هذا النوع وذاك : صوم الكفارات . وهو صوم عبادة أيضا ، ويتقرب الانسان به الى الله سبحانه وتعالى ، كى يكفر عن جريمة اجتماعية ارتكبها فى اندفاع ، أو تحت التأثر بعادة معينة . . أى ارتكبها دون أن يخطط لها ويقصدها ويبيت النية على مباشرتها .

وفى القرآن جاء الصوم كفارة عن جرائم : القتل الخطأ ، والظهار ، والحلف بالله لغوا ، والصيد فى الاحرام للحج أو العمرة :

١ — فعن جريمة القتل الخطأ كان قوله تعالى :

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ،

« ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى أهله ، الا أن يصدقوا ،

« فان كان من قوم عدو لكم ، وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ،

« وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة ،

« فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ، وكان الله عليما حكيما » (١١) .

. . . وفى تعبير القرآن الكريم عن تحرير الرقبة المؤمنة مع الدية أو مع عدمها ، ثم عن الصوم فى حال عدم وجود الرقبة المؤمنة . . بأن ذلك توبة من الله : « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله » — وليس عقوبة أو حدا — دلالة واضحة على انه أولا : أن صوم الشهرين المتتابعين هو عبادة ، وثانيا : أن العبادة لا تكون عقوبة أو حدا . وانما هى قربى الى الله يتوسل بها هنا للعفو عن هذه الجريمة التى لم تقصد ، كشأن العبادة دائما .

وفى معنى عبادة الصوم تحرير الرقبة المؤمنة . ففى تحريرها قربى الى الله ، لأن التحرير ينطوى على رد الاعتبار البشرى الكامل لانسان تملكه آخر بالوراثة أو بالقهر والشراء . . تملك موضوعا وأمرا لا يملك الا بفعل القوة وحدها . فاذا رد اليه اعتباره البشرى وشعر بالمساواة بينه وبين غيره لا ينعكس ذلك على نفسه وتصرفاته كانسان فحسب ، وانما تعود اليه « الكرامة » الانسانية التى خلق كل فرد عليها من الله جل شأنه ، وتتجلى فيه الطبيعة كما أرادها الله وسواها فأحسن صورها . وبذلك يدل على وجود الله وعدله ، أكثر مما لو بقى فى ملكية الغير ومسلوب الارادة والحرية والشخصية كحيوان يساق ولا يتجه بذاته .

ان تحرير الرقبة فيها معنى الزكاة العبادة ، وفيها معنى الانفاق فى سبيل الله الذى هو عبادة أيضا .

وجريمة القتال الخطأ هى جريمة اجتماعية ، لأن القتل هو القتل لنفس ذهبت وولت ، بغير حق . سواء أكان عمدا أم خطأ . فالعمد أو الخطأ فى القتل لا يغير اطلاقا من أنه : قتل نفس مؤمنة بغير حق .

والخطأ فى القتل يأتى بشىء واحد ، وهو عفو الله . ولكن لارتباط هذا الخطأ بجريمة اجتماعية ، أى بجريمة من شأنها أن تكون مترتبة على اتباع الاتجاه المادى فى الحياة ومن آثار المادية .. كانت الكفارة — أى القربى الى الله — تحرير رقبة أى احياء نفس برد اعتبارها البشرى اليها ، فان لم توجد فصيام شهرين متتابعين .. أى كانت الكفارة ممارسة لعبادة لها صلاحية التخفيف من حدة الاتجاه المادى ، والمعاونة على الخروج من دائرة المادية والتبعية لها .

فالكفارة هنا علاج عن طريق عبادة ، وليست عقوبة أو شبه عقوبة . لأن العقوبة تكون على ذنب . ولا ذنب هنا طالما كان عفو الله وغفرانه .

وهكذا : نجد أن الكفارات التى يكون الصوم فيها مستهدفا ، كبديل وعوض ، هى كفارات لجرائم اجتماعية لم تستكمل عناصر الجريمة الاجتماعية المترتبة على سيطرة المادية وطغيانها ، أو كفارات لجرائم لم يزل فيها أثر للاتجاه المادى ولم تخلص النفس التى ارتكبت هذه الجرائم من « الميل » أو « الذبذبة » بين « الروحية » الاسلامية و « المادية » الجاهلية .

٢ — وعن جريمة « الظهار » جاء قول الله تعالى :

أ — « الذين يظاهرون منكم من نسائهم — ما هن أمهاتهم ، ان أمهاتهم
« الا اللائى ولدنهم — **وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا** ،
« وان الله لعفو غفور .

ب — « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا : فتحرير
« رقبة ، من قبل ان يتماسا ، ذلكم توعظون به ، والله بما
« تعملون خبير .
« فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ،
« فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ،

جـ — « ذلك لتؤمنوا (لتؤمنوا مخلصين وصادقين) بالله ورسوله ،
« وتلك حدود الله ، وللكافرين عذاب اليم » (١٢) .

... وقول الله تعالى هنا فى الظهار واضح فى :

انه منكر من القول وزور وكذب : « وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا » . هو منكر من القول لأن الذى يقول لزوجته : « أنت على كظهر أمى » .. فيسوى بين الزوجة والأم فى حرمة المباشرة الجنسية — تلك الحرمة التى يكنى عنها بقوله : كظهر أمى — ينقل أمرا من دائرة الحل الى دائرة الحرمة ، أو يصف الحلال بالحرام . ووصف الحلال بالحرام ، أى وصف الشىء بنقيضه ، فيه منكر من القول . ثم فى الوقت نفسه هو زور وكذب . لأنه يقول على أمر أحله الله بأنه حرام ، فكأنه يكذب على الله فيما يقول ، جل جلاله .

ومنكر القول ، والكذب على الله هو جريمة اجتماعية كذلك . فهو اشاعة للمنكر من جهة ، وتقول على الله فيما لم يقله من جهة أخرى . ويتصل اتصالا وثيقا بالعرف الجاهلى ، وهو عرف مادى . فصاحب الظهار — وقد أسلم وآمن بالله — لم تزل فى نفسه بعض رواسب المادية السابقة على المجتمع الاسلامى . ومن هنا كانت الكفارة : تحرير رقبة ، فان لم توجد فصيام شهرين متتاليين ، على غرار كفارة القتل الخطأ .

ولكن زيد فى أمر هذه الكفارة : اطعام ستين مسكينا فى يومهم ، عند عدم توفر الرقبة المؤمنة ، فعدم القدرة على صيام شهرين متتابعين .

واطعام الستين مسكينا هو جانب مالى يشبه الى حد ما تحرير الرقبة المؤمنة . وهذا وذاك تجربة لتخفيف أثر الاتجاه المادى فى الحياة كالصوم . ولكن فقط أحدهما عن طريق الاعطاء ، والآخر عن طريق الامساك ، حتى تكون هناك فضلة فى المال للآخرين .

وهدف كفارة الظهار على هذا النحو اذن هو تأكيد الايمان بالله والصدق فيه ، والعزم على دفع الاغراء المادى ، فضلا عن الوقوع فى اتجاهه : « ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله » .. فجعلت الآية صاحب الظهار بظهاره كأنه خرج من ايمانه أو لم يكن مؤمنا على سبيل الحقيقة ، واتخذت من كفارة الظهار طريقا الى الايمان بالله ورسوله . واذن الصوم كبديل ، وكعبادة كذلك ، خصص فى مثل هذه الجرائم الاجتماعية ، لا لاعادة التوازن بين الروحية والمادية — اذ الروحية الاسلامية هى التوازن فى الاستمتاع بالمتع الحسية بين الحرمان منها كلية والاستغراق فيها كلية — وانما لدفع سيطرة المادية ، والابقاء فى خطوط الروحية الاسلامية .

٣ — وعن جريمة اليمين اللغو كانت الآية الكريمة :

١ — « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم (أى لا يعذبكم ولا يعاقبكم ،
« بل هو يعفو عنكم) ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ،
« فكفارته : اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم
« أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ،
« فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ،
« ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم ،
« واحفظوا أيمانكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم
« تشكرون » (١٣) .

... فالحلف بالله لغوا ينطوى على تعريض الله — دون قصد — للحرج ، وعدم توفير الاحترام اللائق بجلاله . اذ صاحب لغو اليمين قد وعد باسم الله أمرا ولم يفعل ذلك الأمر . وهنا كان التعرض للحرج .

ولكن لأنها يمين غير مقصودة ، أى لم يبيت أمرها فى اهانة المولى سبحانه ، وكانت عفو الحديث أو وقعت تحت تأثير العادة ، لم يؤاخذ المولى سبحانه وتعالى صاحب هذه اليمين على الحرج الذى ترتب عليها : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » . ومع ذلك فهى تدل من جانب آخر على أن صاحبها لم يزل متأثرا ببعض جوانب الاتجاه المادى فى الحياة . لم يزل متأثرا بما يستتبعه هذا الاتجاه من الاستخفاف بالله وبالايمان به وبالمؤمنين به ،

وان لم يكن على شعور ووعى بهذا الاستخفاف .

ومن أجل تعريض قدسية الله للحرج فى اليمين للغو كانت جريمة فى حق الله ، وهى أشبه بالجريمة الاجتماعية . لأن ما لله هو للأمة كلهـا . وجاء لغوها سببا فى عفو الله عنها ، وبقى أصل الجريمة فكانت الكفارة التى تخير بين اطعام عشرة أو كسوتهم من جانب أو تحرير رقبة من جانب آخر ، ثم تنتهى الى الصوم ثلاثة أيام ، وأيضا متتالية ، حرصا من المولى جلت قدرته على أن يصفى رواسب الاتجاه المادى فى سلوك المؤمن الذى يعرض الله للحرج فى الحلف به .

ومن أجل ذلك تطلب الآية فى نهايتها أمرين : تطلب الكف عن الحلف بالله : ... « واحفظوا أيمانكم » . وتطلب كذلك شكر الله على أن وضح طريق الحق خالصا من شوائب المادية : « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » .

٤ ــ وعن جريمة الصيد فى الاحرام للحج أو العمرة تقول الآيـات القرآنية :

« يا أيها الذين آمنوا :
« ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ، ليعلم
« الله من يخافه بالغيب ،
« فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم .
« يا أيها الذين آمنوا :
« لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل
« ما قتل من النعم (الابل ــ البقر ــ الغنم) ، يحكم به ذوا عدل
« منكم ، هديا بالغ الكعبة (لفقرائها) .
« أو كفارة : طعام مساكين ،
« أو عدل ذلك صياما ،
« ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله
« منه ، والله عزيز ذو انتقام ،
« أحل لكم صيد البحر ، وطعامه متاعا لكم وللسيارة ، وحرم
« عليكم صيد البر ما دمتم حرما ،
« واتقوا الله الذى اليه تحشرون » (١٤) .

... كل آية من هذه الآيات الثلاث تنذر أو تحرم صيد البر فى الاحرام للحج أو للعمرة : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » . « لا تقتلـوا الصيد وأنتم حرم » . « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما » . مما يوضح الهدف من هذا التحريم ، وهو توفير « الحرمة » لبيت الله . فاذا بوشرت جريمة قتل الصيد بعد النهى عن صيده وفى ظل مبـاشرة عبـادة الحج أو العمرة فان ذلك لا يعد انتهاكا للحرم الآمن نفسه فقط ، ولا تحديا لما نهى الله عنه هنا من التحريم فحسب . وانما يعد تقليلا أيضا من شأن عبادة ، هى الحج أو العمرة ، فرض فيها التجرد ــ وقت أدائها ــ من كل مظاهر الدنيا وزينتها ، ومن كل ما يميز انسانا عن آخر . بل يعد نقضا لهدف هذه العبادة

من التجرد من كل ما هو مادى . لأن الصيد — رغم التحريم — هو انجذاب لما هو مادى سهل الحصول عليه . ولسهولة صيده ، كان موضع ابتـــلاء واختبار اذ تناله الأيدى أو الرماح . « ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم » .

والعقوبة على انتهاك حرمة البيت الآمن وحرمه بقتل الصيد المنهى عنه هى ما جاءت فى الآية فى قول الله تعالى : « ومن عاد (أى بعـــد التحريم) فينتقم الله منه ، والله عزيز « ذو انتقام » .

ولكن مع ذلك هناك كفارة قصد بها — كما يقصد من كل كفارة — أن لا تكون بديلة وعوضا عن العقوبة ، التى هى الانتقام . وانما قصد بهـــا تصفية الميل والتبعية للاتجاه المادى فى الحياة ، أو قصد بها الوقوف الصلب فى مواجهة الاغراء والفتن التى تثيرها المتع وما فى الدنيا من متاع وزينـــة من جديد . فاطعام المساكين بما يساوى النعم التى يحكم بها ذوا عدل من المؤمنين ، أو الصيام أياما بما يعدل ذلك ، حسب تقدير الفقهاء ، هو تلـــك الكفارة التى نيطت بها مهمة التصفية للاتجاه المادى فى الحياة . واذ ذكرت الآية هنا فى التعليل للكفارة ما تقوله : « ليذوق (أى الذى أقدم على الصيد) اعتداء على حرمات الله وعلى نفس العبادة التى أريد لها أن تكفل عـــدم وبال أمره » .. فانها تقصد الى « تعظيم « الجريمة » . لأنها فى الواقـــع الاعتداء على تلك الحرمات ، وهى عبادة الحج أو العمرة .

ان هذه الاوضاع التى طلب فيها القرآن الكريم الصوم ككفارة أريد بها أن تكون فرصا أخرى لاداء هذه العبادة حتى تزيد فاعليتها فى حياة المؤمن فى صهر ارادته وقوة عزيمته فى مواجهة المادية وآثارها ، وحتى تسهم فى « التزام » ما يلتزم به المؤمن — وهو ما يلزم به نفسه عن اختبار — فـــى تحقيق نظرة الاسلام الى الحياة ، وتطبيق ما تقوم عليه النظرة من مبادىء وتوجيه .

---

(١) البقرة ١٨٣ — ١٨٥ .
(٢) محمد ١٤ .
(٣) الكهـــف ٧ .
(٤) الانعام ١٦٥ .
(٥) الانبيـــاء ٣٥ .
(٦) البقرة ١٥٥ — ١٥٧ .
(٧) آل عمران ١٨٦ .
(٨) محمـــد ٣١ .
(٩) محمـــد ١ — ٤ .
(١٠) آل عمـــران ١٥٢ .
(١١) النســـاء ٩٢
(١٢) المجادلة ٢ ، ٣ ، ٤ .
(١٣) المائدة ٨٩ .
(١٤) المائدة ٩٤ — ٩٦ .

ذو القرنين

للشيخ أحمد حسن الباقوري

قال الله جل ثناؤه .

« ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شىء سببا فاتبع سببا .. الى قوله — وما استطاعوا له نقبا » (١) .

فأول ما يتساءل عنه فى هذه الآيات (ذو القرنين) من هو ؟

والثانى — ما المراد بمغرب الشمس ؟

والثالث — ما المراد بمطلع الشمس ؟

والرابع — ما المراد بالسدين ؟

والخامس — ما المراد بيأجوج ومأجوج ؟

فأما ذو القرنين فان اسلافنا يعرفونه بالرجل الطواف كما يقول ابن هشام والامام السهيلى ، ثم يختلفون فى اسمه فمن قائل ان اسمه (هرمس) أو (هرديس) وابن هشام يسميه الصعب بن ذى مرائد ، ويعتبره أول التبابعة ملوك اليمن ، وربما سموه أقريدون بن اثقيان الذى قتل الضحاك .

ويذكر الامام السهيلى أن قس بن ساعده ذكره فى خطبته فى سوق عكاظ —

(يا معشر اياد ، أين الصعب ذو القرنين الذى ملك الخافقين ، وأذل الثقلين ، وعمر الفين ، ثم كان ذلك كلحظة عين) .

وقد أنشدوا للاعشى .

والصعب ذو القرنين اصبح ثاويا

والحنو — حنو قراقر الذى مات

والحنو — حنو قراقر الذ ىمات

فيه ذو القرنين بالعراق .

ويقول ابن هشام — أنه رجل من أهل مصر اسمه مرزبان بزمرزبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح . واسمه الاسكندر ، وهو الذى بنى مدينة الاسكندرية فنسبت اليه .

ويقول ابن اسحاق رواية عن

معدان الكلابى ، وكان رجلا قد أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم — ان النبى صلى الله عليه وسلم قد سئل عن ذى القرنين فقال — هو ملك مسح الارض بالأسباب ، ولم يشرح معنى الأسباب .

قال الامام السهيلى — وأهل التفسير لهم فيه أقوال متقاربة ، فقد قالوا فى قوله (وآتيناه من كل شىء سببا) أى علما يتبعه .

وفى قوله تعالى (فاتبع سببا) أى طريقا موصلة . ويقول ابن هشام فى غير السيرة : ان السبب هو حبل من نور كان ملك يمشى به بين يديه فيتبعه ، وقد قيل أن اسم ذلك الملك زياقيل .

وهذا يقرب من قول من قال : سببا أى طريقا . ويقرب أن يكون تفسيرا لقول النبى صلى الله عليه وسلم — مسح الارض بالاسباب .

وقد اختلفوا فى تسميته بذى القرنين ، كما اختلفوا فى اسمه واسم أبيه وأصح ما جاء فى ذلك ما روى عن أبى الطفيل عامر بن وائل — سأل ابن الكواء على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال — أرأيت ذا القرنين أنبيا كان أم ملكا ؟ فقال على : لا نبيا ولا ملكا ، ولكن كان عبدا صالحا دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنى رأسه ضربتين ، وفيكم مثله . يعنى نفسه،وقيل : كانت له ضفيرتان من شعر والعرب تسمى الخصلة من الشعر قرنا ومنه قول الاسدى —

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها
بنى شاب قرناها تصر وتحلب

أراد : يا بنى التى شاب قرناها .

فاما مغرب الشمس — فقد قرأ ابن عاصم وعامر وحمزة والكسائى : تغرب فى عين حامية . بدل حمئة ومعنى حامية حارة ومعنى حمئة كثيرة الحمأة ، وهى الطينة السوداء وقد يجمع بين القراءتين فيقال — كانت حارة وذات حمأة .

وقال عبد الله بن عمرو — نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين غربت فقال — نار الله الحامية لولا ما يزعها من الله لاحرقت ما على الارض .

وقال ابن عباس — اقرأنيها أبى كما اقرأه رسول الله (فى عين حمئة) غير أن معاوية كان يقول هى حامية فقال عبد الله بن عمرو بن العاص — فأنا مع أمير المؤمنين فجعلوا بينهم كعبا حكما وقالوا : يا كعب كيف تجد هذا فى التوراة ؟ فقال كعب : أجدها تغرب فى عين سوداء . فوافق ابن عباس .

وقال القفال :

ليس المراد أنه انتهى الى الشمس مغربا ومشرقا حتى وصل الى جرمها ومسها لانها تدور مع السماء حول الارض من غير أن تلتصق بالارض وهى أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الارض بل أكبر من الارض أضعافا مضاعفة وانما المراد أنه انتهى الى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق فوجدها فى رأى العين تغرب فى عين حمئة كما أنا نشاهدها فى الارض الملساء كأنها تدخل فى الارض ولهذا قال — وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا، ولم يرد انها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم بل أراد انهم أول من تطلع عليهم .

وقد وجد ذو القرنين عند نهاية العين قوما هم أهل جابرس وهى بالسريانية جارجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود الذين آمنوا بصالح كما قال السهيلى .

هذا ما رواه القرطبى وغيره من الاقدمين فى صدد الآيات الشريفة .

ويقول ابن القيم فى كتابه أغاثة اللهفان : —

ان الاسكندر المقدونى هو ابن فيلبس وليس بالاسكندر ذى القرنين الذى قص الله تعالى نبأه فى القرآن بل بينهما قرون كثيرة وبينهما فى الدين أعظم تباين .

فذو القرنين كان رجلا صالحا موحدا لله تعالى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكان يغزو عباد الأصنام ، وبلغ مشارق الارض ومغاربها ، وبنى السد بين الناس وبين يأجوج ومأجوج .

وأما هذا المقدونى فكان مشركا يعبد الاصنام هو وأهل مملكته ، وكان بينه وبين المسيح نحو ألف وستمائة سنة ، والنصارى تؤرخ له وكان أرسطاليس وزيره وكان مشركا يعبد الاصنام .

والامام جمال الدين بن نباته المصرى من أعيان القرن الثامن الهجرى يوافق الامام ابن القيم على رأيه هذا فيقول رحمه الله :

والصحيح أنه الاسكندر بن فيلبس، وسمى ذا القرنين تشبيها بذى القرنين المذكور فى الكتاب العزيز لبلوغ ملكه قرنى الشمس من المشرق والمغرب ، وهو صاحب أرسطاليس الحكيم الفيلسوف ، وكان أبوه سلمه اليه ، فأقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والأدب ، فنال منه ما لم ينل أحد من تلامذته ، ولما مرض أبوه خاف على الملك فاسترده وعهد اليه بالملك من بعده ، فلما تولى ملك ابيه أظهر من العبقرية وحسن الرأى والشجاعة وقوة التدبير وجميل الوفاء لمعلمه أرسطوما جعله مضرب الامثال فى كثير من فضائل الرجال .

ومما يذكر بالتقدير ما رواه ابن نباته عنه مما يدل على بعد نظره وقوة فكره وحسن سياسته فقد قيل له ذات يوم : أن فلانا يشتمك ، فلو عاقبته لاحسنت ، فابى أن يعاقبه قائلا (هو بعد العقاب أعذر) وتحاكم اليه اثنان ليقضى بينهما فى أمر، فقال لهما (الحكم يرضى أحدكما ، ويسخط الآخر فاستعملا الحق ليرضيكما جميعا) وجيء اليه يوما بلص فأمر بصلبه فقال : (أيها الملك أنما فعلت ما فعلت وأنا كاره) فقال الاسكندر : (تصلب أيضا وانت كاره) وغضب ذات يوم على بعض شعرائه فاقصاه ، وفرق ماله فى أصحابه ، فسئل عن حكمته فى هذا التصرف فقال : أما أقصائى له فلجرمه ، واما تفريقى ماله فى أصحابه فلكى لا يشفعوا فيه ...

وجلس ذات يوم مجلسا عاما للرعية فلم يسأله أحد حاجة فقال : والله ما أعد هذا اليوم من ملكى ، فقيل له: ولم ذلك أيها الملك ؟ فقال : ان لذة الملك لا وجود لها الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين .

وأما مطلع الشمس فالمراد منه أنه انتهى الى موضع قوم لم يكن بينهم وبين مطلع الشمس أحد من الناس ، والشمس تطلع وراء ذلك بمسافات بعيدة ، وهؤلاء القوم فيما يقول الكلبى: يسمون تارس،وهاويل، ومنسك ، وهم حفاة عراة عماة عن الحق ، يتسافدون مثل الكلاب ، ويتهارجون تهارج الحمر ، وقيل هم أهل جابلق ، وهم من نسل مؤمنى عاد الذين آمنوا بهود عليه السلام ، ويقال لهم بالسريانية (مرقيسا) والذين هم عند مغرب الشمس هم أهل (جابرس) وهم يجاورون يأجوج ومأجوج .

والمراد بالسدين — جبلان : أرمينية ، وأذربيجان ، ومن وراء الجبلين قوم من الخلق لا يفقهون ، يعنى لا يفهمون من أحد قولا ، ولا يفقهون يعنى لا

يفهمون أحدا قولا كذلك ، وهما قراءتان صحيحتان .

والسد هو وضع ما ينتفى به الخرق ومنه سدد السهم بمعنى أحكم تصويبه الى الهدف لانه سد عليه طرق الاضطراب ، ومنه السداد بمعنى الصواب .

والفرق بين السد والردم أن السد كل ما تسد به ، وأما الردم فهو وضع الشىء على الشىء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع ، ومن ذلك ردم ثوبه اذا رقعه برقاع متكاثفة بعضها فوق بعض ، ومن ذلك قول عنترة .

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم

يعنى عنترة ان الشعراء لم يغادروا قولا يركب بعضه فوق بعض .

واما يأجوج ومأجوج فمن أهل اللغة من ذهب الى انهما كلمتان عربيتان ، وجعل يأجوج على وزن يفعول ، ومأجوج على وزن مفعول وكأنه اعتبرهما من أجيج النار ، ومنهم من لم يهمزهما .

ويأجوج ومأجوج أمتان كل أمة منهما ذات عدد كبير لا يعلمه الا الله وفى صفاتهم أختلفت الاراء اختلافا شديدا بعضها يسوغ قبوله وبعضها لا يسوغ .

تلك خلاصة ما ذكره الاسلاف عن ذى **القرنين** .

ومولانا أبو الكلام آزاد العالم الهندى الفاضل له بحث جليل بذل فيه رحمه الله من جهده وماله ما لا يسخو به الا حريص على العلم غيور على كتاب الله . وليس فى طاقة بحثنا هذا أن يستوعب كل ما ذكره مولانا آزاد فنكتفى منه بذكر شواهد يستبين بها الفرق بين ما ذهب اليه الاسلاف وما كشف عنه الاخلاف راجين أن تتهيأ لنا فرصة ينشر فيها بحثه فى كتاب مستقل أن شاء الله .

قال أبو الكلام :

والظاهر من أسلوب الآيات الشريفة أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فجاءت الآيات جوابا للسؤال ، فروى الترمذى النسائى والامام أحمد أن قريشا بايعاز من علماء اليهود سألت النبى عن أمور منها ذو القرنين فقالت من هو ؟ وما أعماله ؟ وروى القرطبى عن السدى قالت اليهود : أخبرنا عن نبى لم يذكره الله فى التوراة الا فى مكان واحد قال : ومن ؟ قالوا ذو القرنين ، وقد أحصى ابن جرير وابن كثير والسيوطى للروايات فى هذا الصدد فى تفاسيرهم .

وما ذكر فى الآيات من خصائص ذى القرنين يتلخص فيما يأتى :

١ — الرجل الذى سألوا النبى عنه كانوا يسمونه ذا القرنين أى ان هذا الاسم أو اللقب لم يضعه القرآن من عنده ، بل الذين سألوا عنه هم الذين أطلقوه عليه ، ولذلك قال : ويسألونك عن ذى القرنين .

٢— هذا الرجل أعطاه الله الملك وهيأ له أسباب الحكم والغلبة .

٣ — كانت مهماته الحربية الكبرى ثلاثا — الأولى غربية ، زحف من بلاده متوجها الى الغرب حتى وصل مكانا كان له حد المغرب فوجد الشمس هناك كأنها تغرب فى عين حمئة ، والمهمة الثانية وصلت به الى مكان به مضيق جبلى ويشن من ورائه قوم الغارات على الاهالى وقد أطلق على هؤلاء المغيرين يأجوج ومأجوج .

٤ — أقام سدا فى المضيق الجبلى لمنع غارات القوم .

٥ — لم يتكون هذا السد من الحجر والآجر فقط ، بل استعمل فيه الحديد ، وأفرغ عليه النحاس كذلك

فأصبح سدا منيعا تعجز دونه همم المغيرين .

٦ — كان مؤمنا بالله وباليـــوم الآخر .

٧ — كان ملكا عادلا رحيما برعيته لا يتبع الفتك والقسوة بالمغلوبين فانه لما تغلب على قوم فى الغرب ظنوا أنه يرهقهم كغيره من الملوك الفاتحين ، فلم يفعل ذلك ، وهم فى قبضة يده لا ناصر لهم الا أنه انفق عليهم وكسب قلوبهم بعدله واحسانه .

٨ — لم يكن حريصا على المـــال فانـــه لما أرادوا أن يجمعـــوا لـــه المال لاقامة السد أبى أخذه منهم قائلا: ان ما أعطانى الله تعالى يغنينى عن أموالكم ، ولكن أعينونى بقـــوة أيديكم أقم لكم ســـدا حديديا منيعـــــا . فالشخصية التاريخية التى هـــذه أعمالها وصفاتها هى شخصيـــة ذى القرنين .

ولكن من ذو القرنين ؟ ومتى واين وجد ؟

ان أول ما يشغل بال المفسرين فى هذا الصدد هو اسم الرجل أو لقبه اذ لم يعرف أن يكون للانسان قـــرن أو قرون ، ولم يعرف فى التاريخ ملك لقب بهذا اللقب ، ولهـــذا تحيروا ، وتخبطوا فى تفسيره . فقال بعضهم : ان القرن لم يستعمل فى معناه الظاهر بل أريد به الزمن . ولما كان هذا الملك قد امتد حكمه واتسع نطاق فتوحـــه الى عهدين كبيرين لقب بذى القرنين ثم اختلفوا فى تحديد مدة القرن فقيل ثلاثون سنة وقيل خمس وعشرون سنة وقيل عشر سنين أقوال لا طائل تحتها .

وقد جمع ابن جرير فى تفسيره آثار الصدر الاول فى الباب ، ولكنها لا تلقى ضوءا على شخصية خاصة ، بل تبحث فى أنه كان نبيا أو غير نبى بشرا أو ملكا ، ولكن الآثار أجمعت على أن هذه الشخصية قديمة غارقة فى القدم ، ففى بعض الروايات أنه عاصر ابراهيم عليه السلام ، وانه كان من الانبياء ، فذكره البخـــــارى مع الأنبياء القدماء ، وقدم ذكره عـــلى ابراهيم ، فكأن البخارى رأى أن ذا القرنين وجد قبل ابراهيم بزمن طويل أو فى عصره .

ولما بدأ عهد جديد للبحث والنقد اتجهت اذهان بعض المؤرخين الـــى اليمن ، فظنوا أنه كما ذكرت الروايات أسماء الملوك الحميريين كذى القرنين وذى الآذار ، فلا يبعد أنه وجد ملك يمنى سمى بذى القرنين كذلك .

وقد صرح بذلك أبو الريحـــــان البيرونى فى كتابه « الآثار الباقية » ، ووافقه عليه ابن خلدون ولكن هـــذه النظرية قامت على افتراض مخطىء لا يدعمه دليل تاريخى ، بل تخالفـــه القوانين والشواهد كلها .

فنرى أولا أن الذين سألوا النبى عن ذى القرنين هم اليهود أو قريش بايعاز من اليهود . ولا يغرب عـــن البال أن السائلين أرادوا بذلك تعجيز النبى ، وكانوا على يقين من أنه لم يصله خبر عن ذى القرنين من أبناء وطنه فيعجز هو عن الجواب .

فلو كان ذو القرنين رجلا من العرب وكان أهل الحجاز عـــلى علم بـــه لشاركهم النبى فيما يعلمونه ولما كان ثمة وجه للسؤال عن شىء معروف عنده والسؤال الذى نحن بصدده هو — هل تنطبق الخصائص والاعمـــال التى ذكرها القرآن لذى القرنين على ملك حميرى ؟ يذكر القرآن فتوحـــا له فى المغرب وفتوحا له فى المشرق واقامة سد حديدى يمنـــع هجمات يأجوج ومأجوج ولا توجد شهـــــادة تاريخية على وجود ملك حميرى أمعن فى الشرق والغرب مغيرا فاتحا، وبنى سدا حديديا كما ذكره القرآن .

أما كون بعض ملوك اليمن لقبوا بذى القرنين فلا أهمية له . وكذلك التشبث بسد مأرب لا يجدى نفعا اذ لم يذكر أن هذا السد بنى لصد هجمات مغيرين واستخدمت فى بنائه ألواح من الحديد .

ومضى مولانا أبو الكلام فى شرحه لشخصية ذى القرنين فقال : انه لما تمكن من مشاهدة آثار ايران العتيقة ومن مطالعة مصنفات علماء الآثار فيها زال الحجاب وظهر كشف أثرى قضى على سائر الشكوك وتقرر لديه بذلك دون ريب ان المقصود من ذى القرنين ليس الا قورش الملك المؤمن القديم .

وقال ان هذا الكشف الأثرى الهام هو تمثال حجرى لقورش بعينه وجدوه منصوبا فى مكان يبعد عن عاصمة ايران القديمة (اصطخر) نحو خمسين ميلا على شاطىء نهر مرغاب .

وقد فحص علماء الآثار التمثال ونشروا رسما له ، وهو تمثال على القامة الانسانية يظهر فيه قورش وعلى جانبيه جناحان كجناح العقاب وعلى رأسه قرنان كقرنى الكبش ، ويده اليمنى ممتدة يشير بها الى الامام ، ولباسه هو لباس ملوك بابل وايران .

وربما كان هذا التمثال قد صنع بأمر قورش نفسه فى حياته ، أو بأمر خليفة من خلفائه كما هو الشأن فى ملوك ذلك الزمان فى كل مكان .

ومضى أبو الكلام يقول :

كانت فتوح قورش المتوالية فتوحا ليست لسفك الدماء ولا لجمع المال ، بل لبسط العدل والأخذ بأيدى المظلومين المقهورين ، وقد توغل غربا حتى بلغ ساحل بحر ايجه قريبا من أزمير ، ورأى الساحل قد اتخذ صورة تشبه العين وكان الماء قد انكدر من وحل الساحل فرأى الشمس تغرب مساء فى هذه العين ، وهذا هو ما عبر عنه القرآن بقوله ((وجدها تغرب فى عين حمئة)) أى أنه تراءى له كأن الشمس تغرب فى بقعة كدرة من الماء .

ثم توغل فى الشرق حتى بلغ «بلخ» وهى غاية الشرق الاقصى لايران وبذلك أخضع بلاد مكران وبلوخستان

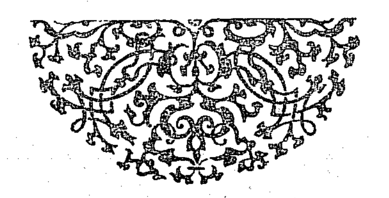
ثم توغل فى الشمال حتى جبال القوقاز وهى بحر الخزر ، والبحر الاسود تكون سدا طبيعيا بين آسيا الغربية والبلاد الشمالية ، وكان فى جبال القوقاز هذه مضيق يجتازه المهاجمون ، ويشنون الغارت على البلاد الواقعة وراءه فبنى قورش فى هذا المضيق سدا حديديا ، وأقفل به الطريق على المغيرين ، ولم يأمن أهل سهول القوقاز وحدهم بهذا السد بل أصبح السد بابا مقفلا منيعا لسلامة سائر بلاد آسيا الغربية فأمنت جميع الشعوب القاطنة فى آسيا الغربية وفى مصر من جهة الشمال .

ويقول رحمه الله — عن سد يأجوج ومأجوج :

انه توجد فى البقعة الواقعة بين بحر الخزر والبحر الاسود سلسلة جبال قوقاز كأنها جدار طبيعى وقد سد هذا الجدار الجبلى الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب الا طريقا واحدا بقى مفتوحا وهو مضيق فى وسط سلسلة الجبال يوصل بين الشمال والجنوب ، ويسمى هذا المضيق فى أيامنا هذه

مضيق « داريال » ويشار الى موضعه فى الاطلس الحاضرة بين دفلادى كيوكاس وطفيليس حيث يوجد الى الآن جدار حديدى من قديم الازمان .

ولا ريب أن هذا هو الجدار الذى بناه قورش اذ ينطبق عليه الاوصاف التى وصف بها القرآن سد ذى القرنين مقررا أنه استخدمت فى بنائه زبر الحديد ، وافرغ عليه النحاس بعد أن اذابوه لتتصل مفاصله فلا يبقى به خلل ومقررا أيضا أنه بنى بين جدارين جبليين فهذا هو ما نراه فى مضيق داريال — جدران جبليان شاهقان أقيم بينهما هذا السد الحديدى الذى أقفل باتصاله بالجدارين الطريق الذى كان مفتوحا بينهما و الكتابات الأرمنية لها أهمية كبيرة فى هذا الأمر لانها لقرب المكان أصبحت بمنزلة الشهادة المحلية ، وقد سمت هذا السد أو الجدار الحديدى فى اللغة الاريمنية من الدهور السالفة (بهالك غوراش » و (كابان غوراش) ومعنى الكلمتين واحد هو مضيق غوراش أو ممر غوراش ولا يخفى أن غور جزء لاسم غورش (قورش) بلا ريب أفلا يثبت هذا أن غورش (قورش) هو الذى بنى الجدار ، واليه نسبوه من قديم الزمان ، على أن هنالك شهادة أخرى لا تقل فى أهميتها عن الاولى وهى شهادة لغة بلاد جورجيا التى هى القوقاز بعينها،فقد سمى هذا المضيق باللغة الجوروجية من الدهور الغابرة بالباب الحديدى وترجمه الاتراك الى لغتهم (دامر كيو) وهو مشهور الى الآن عندهم .



فوائد الصوم

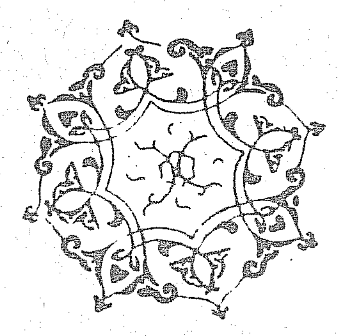
- ١ -

حل شهر رمضان المبارك على طلاب الكلية العسكرية سنة (١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م) وغمرت أنواره قلوب المؤمنين فى كل مكان ، فاستقبله قسم من الطلاب العسكريين بما يستحقه من حفاوة بالغة وصمموا على الصيام مهما تكن الصعوبات والمشاكل ..

لقد تعود هؤلاء على صيام هذا الشهر المبارك حين كانوا تلاميذ فى المدارس المدنية ، وليس من السهل على من اعتاد الصوم أن يتخلى عنه ، فهم قد تذوقوا فرحة الصائم ، وبركات الصوم ، وحلاوة الايمان ، وليس من ذاق كمن حرم ، ومتاع الدنيا كله لا يساوى شيئا بالنسبة الى ما تذوقوه ..

ومضى اليوم الأول من أيام الصيام ، واجتمع الطلاب الصائمون على مائدة الافطار والسحور ، تحف بهم الملائكة ، وترتسم على وجوههم سمات العزم والانشراح ، وكما عزموا على الصوم ، عزموا على ابراز أثر الصوم فى الصائم الحق معاملة حسنة للناس ، واخلاقا محببة للنفوس ، ومضاعفة للعمل المثمر البناء ، وامتيازا فى النجاح دون الاكتفاء بالنجاح وحده .

كان الصائمون من طلاب الكلية العسكرية اقلية ، وكانت الأكثرية تشك فى امكان الصوم وتحمل المشاق العسكرية فى آن واحد ، وكان المسئولون فى الكلية والطلاب يتوقعون الاخفاق للصائمين فى مجالى العلوم العسكرية والتدريب العسكرى ، وكانوا ينتظرون أن يتناقص عدد الصائمين بالتدريج حتى يتلاشى ، وكانوا بين مشفق على الصائمين ومستقبلهم وبين مستهجن لاصرارهم على الصوم .





اللواء الركن محمود شيت خطاب

ومضت أيام رمضان يوما بعد يوم ، وعدد الصائمين يزداد كل يوم ، ومضى الصائمون يثبتون عمليا أن الصوم حافز من أقـوى حوافز العمل والانتاج والنجاح . وكان من أشد المقاومين للصائمين ضابط برتبة نقيب ، وكان هذا الضابط قائدا لفصيلة من فصائل الكلية العسكرية ، وكـان قادة الفصائل يتنافسون فيما بينهم على التفوق ، وحين تفشى الصوم بين طلابه تنادى بالويل والثبور . وقد كانت فصيلته متميزة قبل رمضان فظن بعد حلوله أنها ستصاب بنكسة قاصمة . ولم ينقض الشهر المبارك الا ولمس تقدما مذهلا فى فصيلته فقد كان طلابه الصائمون يرتفعون كل يـوم وينالون قصب السبق فى التدريب والالعاب والدروس ، فما حل العيد الا وكانت فصيلته قد بلغت درجة من التفوق لا تضاهى ، حتى أصبحت فصيلته بفضل الصائمين ، هى الفصيلة النموذجية بين فصائل الكلية العسكريـة قاطبة ، وأصبحت مضرب الأمثال فى التدريب والتهذيب والعلوم العسكرية والألعاب الرياضية .

وصادفت هذا الضابط بعد عشر سنوات وقد أصبح برتبة عقيـد قائدا لوحدة من وحدات المشاة فى فلسطين سنة (١٩٤٨ م) وزرت وحدته فى شهر رمضان من تلك السنة ، فرأيته صائما يقاوم الافطـار ويأمر بالصوم ، ووجدت وحدته كلها ضباطا وضباط صف وجنودا صائمين ، ووجدته مهتما الى أبعد الحدود باحضار الافطـار والسحـور لرجاله ، فرحا غاية الفرح باجماع اتباعه على الصوم وحرصهم الشديد عليه .

وقال معللا سر تحوله عن مقاومة الصوم والصائمين « لقـد تعلمت من طلاب الكلية العسكرية الصائمين أن الصوم سر من أسرار التفـوق والامتياز ، وكنت قبل ذلك واثقا من أن الصوم يضعف الهمم ، ويحث على الكسل ، ويقلل من الانتاج وفرص النجاح » ..

إن كل فرائض الاسلام وكل تعاليمه خير وبركة ، اذا طبقها المسلمون كما ينبغى . ولو طبق المسلمون اليوم تعاليم دينهم تطبيقا سليما ، لقادوا العالم ، وسيطروا على مقاليده عسكريا ، وسياسيا وحضاريا .. ولكن أين من يطبق تعاليم الاسلام كما يجب .... أين ؟

— ٢ —

وطالما سمعت غير الصائمين يقولون — كيف تستطيعون الصوم عن الطعام والشراب ساعات وساعات ، هؤلاء وامثالهم لم يؤمروا بالصوم حين كانوا صغارا ، ولم يشاهدوا آباءهم وأمهاتهم يصومون ، فلما كبروا استقر فى أذهانهم أن الصوم صعب لا يحتمل ولا يطاق ولو أنهم صاموا وهم صغار وشاهدوا أبويهم يصومون لتغلغل حب الصوم فى أفئدتهم ومعه نور الله ، ولأصبحوا يقولون — كيف يستطيع المسلم القادر على الصوم الافطار فى رمضان ؟ كيف يصبح المرء عبدا لبطنه ؟ كيف يعصى المؤمن الحق أوامر الله . ؟

قبل بضع عشرة سنة ظهر طبيب المانى كبير درس آثار العقاقير فى الجسم البشرى ، فوجد أن قسما منها يفيد من ناحية ويضر من ناحية أخرى فهى تبنى وتهدم ، وقد يكون ضررها أكبر من نفعها كما وجد أن قسما من هذه العقاقير الطبية تترك آثارا سيئة فى الجسم ، اذا لم تظهر اليوم فانها تظهر غدا ، لأنها تعتمد على المواد السامة فى تركيبها .

وبعد بحوث مستفيضة أجراها ذلك الطبيب ، وجد أن العلاج الطبيعى الذى يعتمد على الحمية والهواء الطلق ، والتعرض لأشعة لشمس ، والايمان بالقضاء والقدر هو أنجع علاج لامراض البشر .

وألف هذا الطبيب كتابا عن العلاج الطبيعى ، أشاد فيه بالصوم الاسلامى ، وبالايمان بالقضاء والقدر ، وقال — ان هذين العلاجين انجع العلاجات على الاطلاق ..

فقد ذكر أن المعدة وأجهزة الهضم الأخرى تضرها التخمة ، وأن فضلات الطعام تترك سموما قاتلة فى الجسم وأن الصوم يذيب هذه السموم بالتدريج حتى يتخلص الانسان منها ، فتعود اليه صحته ويتعافى .

كما ذكر أن المكثرين من تناول الأدوية الصناعية ، تكون نسبة السموم فى أجسادهم أكثر من المقلين من تناول تلك الأدوية وقد أورد قول الكاتب البريطانى برناردشو عن مضار العقاقير « لو ألقينا الأدوية فى البحر لمات السمك » ..

وأنشأ هذا الطبيب فى المانيا مصحا صغيرا لم يفتأ أن أصبح مستشفى ضخما يقصده المرضى من جميع أنحاء العالم للتطبب بالعلاج الطبيعى ، ثم انتشرت مستشفيات العلاج الطبيعى فى المانيا وفى العالم المتمدن وأصبح لهذا العلاج كراسى فى كليات الطب ومختصون من الأطباء كما تخرج فى تلك الكليات أطباء عرب يمارسون مهنتهم فى البلاد العربية ويلاقون النجاح ويحظون بثقة المرضى .

وكما علل الطبيب الألمانى أهميـــة الصوم فى تخليص الأجسام من السموم ، علل أهمية الايمان بالقضاء والقدر فى العلاج الطبيعى . فقـــد ذكر أن المريض الذى تنتابه الهواجس يكون قلقا خائفا،والقلق يقوض الجسم والخوف يحطم البدن ، وهما عاملان من عوامل استشراء المرض وتفاقمه . أما الايمان بالقضاء والقدر ، فيدخل الهدوء الى روع الانسان ويصـــاول القلق والخوف ، ويشيع الاطمئنان فى النفوس ، مما يؤدى الى شفـــاء المريض .

والاسلام هو الرائد فى الصوم والايمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله سبحانه وتعالى ، ولم يكن الطبيب الالمانى هو الرائد على الرغم من ادعاءاته وادعاءات غيره من الأطباء والناس .

ولكن الاسلام — مع الأسف الشديد — مظلوم حتى بين معتنقيـــه جغرافيا وبالوراثة — وما أكثرهم عددا واقلهم جدوى ، وصدق الشـــاعر :

إنى لأفتح عينى حين أفتحهـــا على كثير ولـــكن لا أرى أحدا

— ٣ —

إن فوائد الصوم العسكرية ظاهرة للعيان ، ولعل إبرازها فى مثل هذه الأيام له أهمية خاصة نظرا للظروف العصيبة التى يجتازهـــا العرب والمسلمون وهم فى حرب مصيرية على اسرائيل وعلى من وراءاسرائيل من دول الاستعمار القديم والجديد .

وإحراز النصر على أعدائنا لا يكون الا بالايمان العميق ، وهـــذا الايمان هو السلاح الذى نتفوق به على الأعداء ، فاذا تخلينا عنه تفـــوق علينا أعداؤنا بما يمتلكون من سلاح وعتاد ومكر وخداع .

فى العسكرية نوع من التدريب يطلق عليه « التدريب العنيف » وهو تدريب العسكريين على النهوض بواجباتهم فى ظروف صعبة ، كالحرمان من الطعام والماء والترفيه عن النفس ، وتحمل التعب والسهر ، وقطـــع المسافات الشاسعة ، واجتياز العقبات وعبور الموانع واقتحام العراقيل .

وأهم ما فى هذا التدريب العنيف ، هو الحرمان من الطعام والماء ، لأن الجيش يمشى على بطنه كما يقول نابليون — وهذا الحرمـــان هـــو الصوم .

إن الصوم يهيىء الأسباب للتدريب على الحرمان عن الطعام والشراب أما بقية فروع التدريب العنيف ، فهى ميسورة لكل شاب سليم الصحـــة ، ومعظم عناصر كل جيش فى العالم هم الشباب .

ان ظروف الحرب قد تقتضى انقطاع سابلة الطعام والماء من جـــراء القصف الجوى أو نسف الجسور ، فاذا لم يكن الجندى قادرا على تحمل الجوع والعطش يوما أو أياما عند الضرورة فانه بدون شك يستسلم للأعداء ويرضخ لارادتهم .

أما إذا كان الجندى قادرا على تحمل الجوع والعطش حتى تنجلى الغمة ، فانه يقاوم الأعـــداء ويصاولهم ويحبط محاولاتهم لاجبارهم عـــلى الرضوخ والاستسلام .

والتدريب على الحرمان عن الطعام والشراب ، هو فى نفس الوقت تدريب على الصبر الجميل ، ومن المعلوم أن الجندى الصابر يتغلب دوما على الجندى الذى يعوزه الصبر ، وما أصدق المثل العربى « الحرب صبر ساعة » ..

ثم ان أعدى أعداء المرء نفسه ، والرجل إذا استطاع السيطرة على هوى نفسه ، فأدى ما « يجب » أن يؤدى لا ما « يهوى » أن يؤدى ، أصبح جنديا مثاليا فى تصرفه ورجولته واقدامه وتضحيته . وما الصوم الا سيطرة على النفس الأمارة بالسوء ، يوجهها الى ما « يجب » أن تعمل لا الى ما « تحب » أن تعمل .

فاذا كان الجندى مسيطرا على نفسه ، فانه يحول بينها وبين وساوسها فى التولى يوم الزحف وغيره ، ويحملها على التمسك بفضائل الجندية ألحقة .

وصوم رمضان يحتاج الى عزم صادق ، وهذه المزية من مزايا الجندى المتميز ، اذ لا فائدة من القرار الصائب بدون عزم على تنفيذه ، ولا نصر فى الحرب بدون عقد العزم على تحقيقه .

وكيف يمكن أن ينتصر الجندى ، اذا كان مترددا لا يقر له قرار على خطة أو رأى ؟

ان الصوم يربى مزية العزم فى النفوس ، ويقضى على رذيلة التردد .

— ٤ —

والصوم الاسلامى يطهر النفس وينقيها من الدرن ، ويرتفع بها الى معالى الأمور ويقتلع منها الخبث وحينذاك تقبل على التضحية بالمال والنفس وتطلب الشهادة أو النصر ، والحرب فى الاسلام هى إحدى الحسنيين الشهادة أو النصر .

فما أحوجنا اليوم الى جنود طاهرة نفوسهم ، يقبلون ولا يدبرون ، ويؤثرون ولا يستأثرون .

والصوم يحث على التعاون الوثيق ، لأن الصائم الحق يكون قريبا من الله بعيدا من الشيطان ، فيعاون أخوته فى الدين أفرادا ، ويعاونهم جماعات ، والتعاون مبدأ من مبادىء الحرب ، فاذا تألف الجيش من أفراد متعاونين على النطاقين الفردى والجماعى ، أصبح قوة لا تقهر ، لأنه سيكون متعاونا على نطاق الأسلحة المختلفة والقيادات المختلفة ، ويكون هدف رجاله المصلحة العليا للأمة دون المصلحة الشخصية للفرد ..

والصوم ينرس الخلق الكريم فى النفوس ، لأن الصائم الحق متسامح دمث ، يحب لغيره ما يحبه لنفسه ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وقد يبدأ الصائم فى التمسك بالخلق الرفيع فى أول أمره « تطبعا » إذا غاضبه أحد قال إنى صائم ... ثم يمسى التطبع بالتدريج « طبعا » فيه .

والدين المعاملة ، والنبى صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم

الأخلاق ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى النبى صلى الله عليه وسلم فقال « وانك لعلى خلق عظيم » . وقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام أعظم القادة ، لأنه كان أعظمهم أخلاقا والقائد المتمسك بالخلق الكريم ، والجندى المتمسك بالخلق الكريم عناصر مفيدة ودعائم قوية لكل جيش فى العالم .

فما أحوجنا اليوم الى قادة وجنود متمسكين بخلق القرآن الكريم .

والصائم يطيع الله وينفذ تعاليمه ، فيحرم نفسه من الطعام والشراب ومتاع الدنيا حتى يفطر .

وقد يكون جائعا فيخلو الى نفسه ويجد الطعام الشهى والشراب الهنى ولكنه يمتنع عن تناولهما مرضاة لله وتنفيذا لأوامره .

هذه الطاعة فى السر والعلن ، هى أرقى درجات « الضبط المتين » التى تنص على : إطاعة الأوامر وتنفيذها عن طيبة خاطر فى مختلف الظروف والأحوال دون رقيب أو حسيب . .

ومن المعلوم أن الفرق بين الجندى الجيد والجندى الردىء هو تحلى الأول بالضبط المتين وتحلى الثانى بالتسيب والتمرد والعصيان .

ومن المعلوم أيضا أن الفرق الأساسى بين الجيش القوى ، والجيش الضعيف أن الأول قوى الضبط والثانى ضعيفه لا يتميز عن العصابات بشىء .

أعرف أشخاصا يخشون رؤساءهم كخشيتهم لله أو أشد خشية ، ولكنهم يعصون الله خالق الكون وفالق الحب والنوى القوى العزيز .

وطاعة المرءوس للرئيس ما أطاع الرئيس الله واجبة ، ولكن طاعة الله هى من أوجب الواجبات .

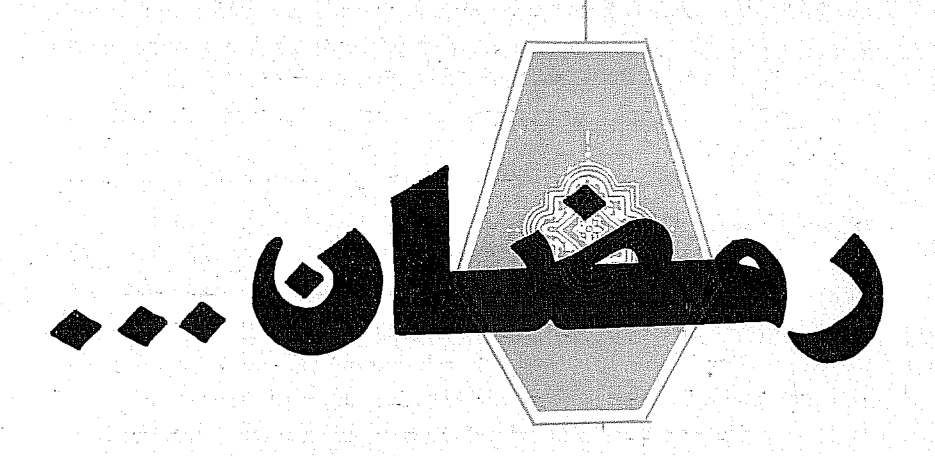
فمتى يعرف الانسان قدر نفسه ، فيطيع الذى منحه الصحة والعافية والرزق والحياة ؟

— ٥ —

تلك هى مجمل فوائد الصوم العسكرية ، إذا استغلها العرب اليوم واستغلها المسلمون تبدل حالهم الى أحسن حال .

إنها تطبيق لمبادىء التدريب العنيف ، وسيطرة على النفس الامارة بالسوء ، والتحلى بالعزم الصادق ، وتطهير النفس من الخبث والدرن ، والتمسك بمبدأ التعاون الوثيق الذى هو مبدأ من مبادىء الحرب ، والتخلق بالخلق الكريم أفرادا وجماعات ، والالتزام بالضبط المتين الذى هو من أهم مزايا الجندية ، والتشبث بالصبر الجميل الذى هو قوة كل جيش منتصر .

والذى أريده من إخوانى قادة العرب والمسلمين أن يأمروا بالصوم ويشجعوا الصائمين ، وأن ينهوا عن الافطار ويؤنبوا المفطرين ، حتى يحققوا لأمتهم وجيوشهم تلك الفوائد الحيوية والله مع المتقين ، وما النصر الا من عند الله .



رمضان .. بركاته وذكرياته

للأستاذ أحمد محمد جمال

شهر رمضان ـــ بدون جدل ـــ شهر البركات : روحية ومادية ، على السواء . وآيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول عليه صلاة الله وسلامه .. عن هذه البركات الرمضانية عديدة وأكيدة ..

وبوحي من طبيعة الشهر ، وبأثر من فضله تعود الناس في استقباله عادات كريمة ، هي كما أشرنا ـــ بعض من آثار كرامته ، وشيء من ثمرات يمنه .

ففي رمضان تنفتح قلوب التجار ، وذوى اليسار ، وتنبسط جيوبهم أيضا .. للعطف على الفقراء ، واللطف بالمساكين ، والتصدق عليهم بالمال

المنقود حينا ، وبالاغذية والاكسية ، أحيانا ، وقد يكون ذلك زكاة واجبة ، عن أموالهم ، مؤجلة الى رمضان ، وقد يكون صدقة نافلة . والمهم أن رمضان هو الحافز على الوفاء والأداء .

ومن بركات رمضان : ظاهرة التسامح والتعاطف والتراحم ، والتزاور بين الاقربين والابعدين ، بل حتى بين المتخاصمين ، فرمضان — فى نظرهم وعقيدتهم وعلى السنتهم : شهر الرحمة والمغفرة ، ولذلك فانهم متأثرون بروحه الكريمة ، مستشعرون بظله الرحيم ..

ومن بركاته — كذلك — أن المظلوم يغفر لظالمه ، والمشتوم يصفح عن شاتمه ، لأن رمضان فى مشاعر الناس :شهر السماح والسلام .

وبركة أخرى — لهذا الشهر الكريم — هى اندفاع الناس فيه الى مزيد من الصلوات والنوافل ، سواء أكانت تراويح أو وترا أو تهجدا . بل ان من لم يصل طوال العام يحافظ على الصلاة فى رمضان . وكما يكثر الناس من الصلاة النافلة فى رمضان يكثرون — أيضا — من تلاوة القرآن ، على غير ما تعودوه طوال سنتهم . وهم يفعلون ذلك رجاء المزيد من رحمة الله ورضوانه ، والمزيد من جوده واحسانه .

وفى رمضان يستعد الناس حتى من لا يعبأ بالعاطفة الروحية نحوه بالاطايب من المأكل والمشرب ، ويتوسعون فى الانفاق بسخاء فريد ، ويتعهدون ذوى الجوار والقربى بالهدايا من ذلك ، كما يبذلون لأولى الحاجة والفاقة صدقات منه .

كل أؤلئك من بركات رمضان ، وليست كل بركاته . فمرحبا بأبى البركات ، شهر القرآن ، وشهر الغفران ..

وقد امتاز رمضان . هذا الشهر المبارك الميمون — بفضائل وخصائص وذكريات ، ليست لغيره من شهور العام ..

من هذه الامتيازات :

(ليلة القدر) التى هى خير من ألف شهر ، والتى تتنزل فيها الملائكة بالسلام والأمان ، والتى يفرق فيها كل أمر حكيم — أى التى يقضى الله فيها سبحانه قضاء العام كله ، من آجل عباده ، وأعمالهم ، وأرزاقهم .

ومنها (نزول القرآن) نزوله هدى وبينات من الهدى والفرقان توضح الحلال والحرام ، وتميز الحق من الباطل ، وتحث على الصالح ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ..

وفى هذا الشهر نفسه نزلت — كما يرى الطبرى — صحف ابراهيم ، وتوراة موسى ، وانجيل عيسى ، عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

وفى رمضان — أيضا — كانت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث أعلنه الله تبارك وتعالى ببدء الرسالة والدعوة الى دين الحق ، دين الخير والنور .

ومن ذكريات رمضان غزوة بدر الكبرى — فى السابع عشر منه فى السنة الثانية للهجرة — وهى أول معركة وأعظمها بين المؤمنين والمشركين ، كانت فرقانا بين الحق والباطل ، وفيصلا بين الكفر والايمان .

وفى اليوم العاشر (١) من رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، كان فتح مكة المكرمة ، حيث سار اليها جيش الاسلام من المدينة المنورة بعد

نقض المشركين لصلح الحديبية .. وكان فتحا مبينا ، كما وصفه القرآن ، عز به الاسلام ، وقويت شوكته ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وفى عامى (٩١ — و ٩٢) للهجرة ، وفى رمضان بالذات كان غـزو المسلمين للاندلس ، وتم فتحها وخضوعها لحكم الاسلام ، ذلك الحكم العادل الفاضل ، الذى ظلت الاندلس تنعم خلاله بحضارة رشيدة مجيدة ، طوال ثمانية قرون .

هذه بعض (بركات) رمضان وشىء من (ذكرياته) وخصائصه وامتيازاته .

أهـداف الصيـام

هناك ، بين الناس : من يصوم يوما أو بعض يوم ، وعن كل الطعام أو شىء منه ، للتخلص من السمنة ، أو تطهير أمعائه من الرواسب الضارة ، أو لاكتساب جمال الجسم وقوته ، أو لكبت الغريزة الجنسية ، أو غير ذلك من أغراض وأهداف رسمها العلم الحديث ، فى دنيا الطب والرياضة والجمال ..

أما الاسلام فقد شرع الصيام لتحقيق (التقوى) فى نفوس أتباعه ، حيث يرتفعون بها الى مكارم الاخلاق ، وعزائم الامور ...

● فى القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

● وفى الحديث النبوى : (من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

فأهداف الصيام وأغراضه فى الاسلام : التعويد على الصبر ، وتحمل المصاعب ، والاخلاص فى أداء العمل ، وكف السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الاذى والخنا ، والتذكير بالفقراء ، من أجل البذل لهم من غذاء وكساء ..

فان لم ينتفع الصائم بآثار صومه الروحية والاخلاقية ، كان كما قال صلى الله عليه وسلم (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش) ، أما المنتفعون بالصوم ، السعداء حقا برمضان ، الظافرون ببركاته الروحية والجسدية .. فحسبهم أن الله جعل جزاءهم غير محصور ولا مذكور كما جاء فى الحديث القدسى : كل عمل ابن آدم يضاعف ـ الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف .. الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى) ...

وبالمناسبة كنت أقرأ شيئا من آراء المفسرين العصريين للقرآن الكريم ولحديث الرسول العظيم ، عليه الصلاة والسلام . وكان الموضوع الذى تناولته تلك الآراء : رمضان والصيام فيه ..

فقد أورد بعضهم الحديث النبوى : (كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش) . ثم قال : هذا هو مثل الذين يصومون النهار ، ولكنهم ينفقون على مأكل رمضان وشرابه ما يكاد يساوى نفقة السنة ، حتى كأنه موسم أكل ، وكأن الامساك عن الطعام فى النهار انما هو لأجل الاستكثار منه فى الليل ، وهذا هو الصوم المراد بقوله صلى الله عليه وسلم (كم من صائم ... الخ)

وعندى : ان هذا الرأى فى تفسير الحديث النبوى غريب ونكير . فان لفظ الحديث بين ، ومغزاه أبين ... فى أن المراد بالصائم الذى لا حظ له من فضل صيامه الا الجوع والعطش ، هو الذى يظن أن حكمة الصوم هى الصبر على الجوع والعطش وحدهما ، دون بقية الشهوات والنزوات الاخرى من تصرفات اليد واللسان ، والعين والقدم ..

.. تلك التصرفات التى لا تكف عن انتهاك الحرمات ، وكشف العورات ، واجتراح السيئات ، وايذاء الغير بالقول أو الفعل ..

وكما يفسر القرآن بعضه بعضا ، فكذلك الاحاديث النبوية يفسر بعضها بعضا . فهناك حديث المرأتين الصائمتين اللتين لم تكفا ألسنتهما عن الغيبة ، وحديث (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) . وحديث (ليس الصيام من الاكل والشرب وانما الصيام من اللغو والرفث) وغيرها مما يوضح معنى الحديث ، موضوع البحث .

(رمضان .. فى مكة المكرمة)

رمضان — كما قلنا — شهر البركة ، والمغفرة ، والرحمة . ما أحب أيامه ، وما أسعد لياليه عند كافة المسلمين ، فى مشارق الارض ومغاربها .

ولقد كان نبى الاسلام صلوات الله وسلامه عليه يدعو منذ رجب ، راجيا أن يدرك رمضان ليصومه ويقومه . كان صلى الله عليه وسلم يقول (اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان ، وبلغنا رمضان) .

انه الشهر الذى يرجو المسلم أن يعيشه ، كى يصومه ويقومه ، ويحظى ببركاته ورحماته ، وما خصه الله به من مغفرة للمذنبين ، ورضوان على الصالحين . وهو كذلك شهر الصبر ، لأنه يعلم الصبر والتسامح والتصافح والتصافى ، وبر الاغنياء للفقراء ، واحسان الاقوياء للضعفاء .

ويمتاز رمضان فى مكة المكرمة عن غيره فى غيرها ، لموقع البيت الحرام فيها ، ومشهد الكعبة منها ، والاعتمار اليها ، واعمال الطواف والسعى ، وما اعتاده بعض الصائمين من أهلها والوافدين عليها من الافطار فى المسجد الحرام كسبا لصلاة المغرب جماعة ، والتذاذا بمشاهدة البيت العتيق ، ومن انتظار صلاة الفجر فيه ، بعد السحور ، ثم ادائها جماعة كذلك .

وصدق القائل : « حبذا الكعبة من مشهد » فى كل وقت ، وفى رمضان بوجه خاص حيث تتنزل رحمة الله ومغفرته على عباده الصالحين والتائبين ..

وحسبى أن أنقل هنا اعتراف زائر مسلم بالمتعة الفريدة ، التى يمتاز بالحظوة بها صائم رمضان فى مكة المكرمة — فقد وفد اليها فى نفس الشهر فى عام ١٣٧٣ هـ الاستاذ أمين المميز الذى كان وزيرا مفوضا للعراق فى لندن وواشنطن وجدة . وكتب عن انطباعه فى أداء العمرة ، والصلاة بالمسجد الحرام الكلمة التالية :

(الآن .. وقد أدركت ضالتى وتمت لى نعمة الله بأداء العمرة . فما عساى أفعل ؟ ...

انها ليلة من ليالى رمضان . وأهل مكة والعمار والطائفون يقصدون المسجد الحرام للافطار بجوار الكعبة ، ولصلاة العشاء ومن بعدها صلاة التراويح والوتر . ومنهم من يقوم لصلاة القيام الى مطلع الفجر ...

لقد شهدت فى حياتى مشاهد أخاذة لا تعد ولا تحصى فى كثير من بلاد الله . ولكنى أقر بأن المشهد الذى شهدته هذا المساء ليس له مثيل بين مشاهد العالم .. انه أروع مشهد يبهر العين ، ويأخذ بالقلب والوجدان ...

المسجد الحرام تتلألأ جنباته بالانوار الكهربائية الساطعة ... ألوف وألوف من المحرمين ، ومن غير المحرمين اصطفوا حول الكعبة من كافة جهاتها ، مولين وجوههم شطرها .. منهم من يصلى ، ومنهم من يتلو آى الذكر الحكيم ، ومنهم من يردد التسبيح والابتهال والدعاء والتكبير ..)

وفى مقدمة ثانية الى مكة ، فى نفس الشهر — قبل الحجر الأسود وقال : (طبعت عليه قبلة لم تتذوق شفتاى أشهى وأطيب منها) .

(زكاة الفطر)

الحديث عن بركات رمضان ، الكثيرة الغزيرة — يستتبع الحديث عن عيد الفطر ، الذى هو ختام بركاته . وقد شرع — أى العيد — ليكون تماما لعدد من أفراح الصائمين الصادقين .

فالصائم الصادق ، بلا شك فرح مسرور بأدائه لفريضة الصوم ، وهو مرتقب فضل الله ورحمته ، وامتنانه عليه بالقبول الحسن ، والمثوبة المدخرة ، وما يصحبها من غفران الذنوب وتكفير الخطايا ، والتوبة الصدوقة فى مستقبل العمر .

والصائم الصادق فرح كذلك باتمام صيامه ، واستقبال ختامه الذى هو (عيد الفطر) يفرح به فرحة الطالب بنجاحه فى الامتحان ، أو فرحة المجاهد بالنصر فى الميدان .

وقد شرع العيد كجائزة أولى للصائمين ، يتناولون فيه البرىء من اللهو ، والحلال من اللذة ، والمباح من المسرات ، ويتبادلون فيه الزيارات بأقدامهم أو التحيات بأقلامهم اذا كانوا متباعدين بين بلد وبلد .

وليست فرحة العيد فردية تخص الفرد وحده .. وانما هى فرحة جامعة . ولذلك شرعت صلاته فى الاماكن الفسيحة ، لأن المساجد العادية تضيق بالجموع الكثيرة التى تسارع الى أدائها فى شوق وحرص ، واذن فيها باصطحاب الاطفال والنساء لتكون الفرحة أوسع وأروع ، ويكون مظهر وحدة المسلمين أكمل وأجمل ...

كما شرعت زكاة الفطر لتكون جبرا لما قد يكون أصاب صيام الناس من خدش ، وطهرة لما يكونون قد أحدثوه من لغو ، ومواساة للضعاف منهم والمساكين ليفرحوا كما يفرحون ..

وبمناسبة الحديث عن زكاة الفطر .. فانى ألاحظ الناس الذين تعطى لهم هذه الزكاة حبوبا — من الحنطة مثلا — يبيعونها بأقل من أثمانها ، لاستغنائهم عن الانتفاع بها ، نظرا لانتشار المخابز التى تقدم الانواع المختلفة من أرغفة الخبز .

لذلك أميل الى الأخذ برأى الاحناف ، وهو جواز اخراجها من الدراهم — أى النقود — فهى أجدى على الفقراء ، وأنفع لهم فى قضاء حوائجهم ، من ملبس ومطعم .

كما أميل الى تقديم اخراجها خلال رمضان كما هو رأى فقهاء الشافعية وبخاصة فى العشر الاواخر .

ذلك أن مقصد التشريع الحكيم : هو الاسعاف والاكرام للمحتاجين ، والتضييق فى التوقيت الزمنى والتحديد النوعى ، يحول دون تحقيق المقصد التشريعى السامى .

تقبل الله صوم الصائمين وزكاة المتصدقين ، وأعاد (العيد) بخير وعزة وسلام على المسلمين ...

(توحيد الصيام .. والأعياد)

ولما كان رمضان — فى منهاج الاسلام وحياة المسلمين — مظهرا من مظاهر الوحدة .. وحدة الباعث الذى هو الايمان ، ووحدة الوسيلة التى هى الصبر على آلام الجوع والظمأ ، ووحدة الغاية التى هى : ارضاء المعتقد ، وتربية الروح والجسد — فان كمال هذه الوحدة يتحقق بتوحيد بدء الصيام ، فى بلاد الاسلام .

لقد كنت أستمع أول ليلة من رمضان الى راديو القاهرة — بعد راديو مكة — وهو يذيع بلسان مفت سابق مصرى ثبوت هلال رمضان فى المملكة العربية السعودية ، وان مصر رعاية للوحدة الاسلامية ستعتبر يوم السبت أول يوم من رمضان اتفاقا مع السعودية ، واعتمادا على ثبوت الهلال فيها .. »

وكان حديث المفتى رائعا فى سمعى وفى قلبى .. فان مصر وسوريا ولبنان والاردن ، والعراق ، واليمن ، والسودان ، وامارات الخليج العربى .. منطقة واحدة ، ان اختلف الوقت فيها ساعةأو بعض ساعة فى توقيت الصلاة ، فانه لايختلف يوما كاملا فى توقيت الصيام .

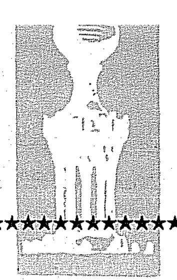
ولكن الدول العربية كانت لا تعتمد على ثبوت الهلال الا على نفسها وفى بلادها .. ومن أجل ذلك كانت احداها تصوم السبت — مثلا — والأخرى تصوم الاحد . ويتبع هذا الاختلاف فى بدء الصيام اختلاف فى ابتداء عيد الفطر ، وهذا الاختلاف بين الدول العربية المتجاورة المتقاربة فى صومها وعيدها : مثار للأسف والجدل حول وحدة الدين ، واختلاف مطالع الهلال ، ومبعث لتساؤل كثيرين من المسلمين وغير المسلمين : كيف يختلف المسلمون فى صيامهم وعيدهم ؟ ولماذا لا يتفقون ؟

ان من حق كل عربى مسلم أو مسلم غير عربى : ان يبتهج بانبعاث هذه الظاهرة الرائعة من ظواهر وحدة الدين بين المسلمين . هذا الدين الذى تقوم أركانه — من صلاة وصيام وزكاة وحج — على الوحدة ، وتأمر بالاتحاد . ومن حقه كذلك المطالبة بتوحيد بدء الصيام فى كافة البلاد العربية والاسلامية سواء بطريق الرؤية أم بالحساب الفلكى ..

فما أحوج المسلمين اليوم الى الوحدة والاتحاد ، ليعودوا كما كانوا أقوياء الارواح والاجساد والعقول .

---

(١) الوعى يرى كثير من أصحاب السير أن فتح مكة كان يوم ٢١ .



يوم الفرقان

للدكتور زكي محمد غيث

أطلق على « غزوة بدر الكبرى » يوم الفرقان ، لأن الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل ، وأظهر فيها الاسلام ودحر الشرك « يوم التقى الجمعان » من المسلمين والمشركين « فى صبيحـــة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجـــرة » (١) فسميت لذلك « يوم الفرقان » كما ذكر فى قوله تعالى : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » (٢) .

. . . . .

وبدر (قرية) بالحجاز تقع فى الجنوب الغربى للمدينة المنورة على بعد مائة وخمسين كيلومترا تقريبا ، وبينها وبين (ينبع) — ثغر على ساحل البحر الاحمر — نحو خمسة وعشرين كيلومترا ، وبها واد وآبار ، وفى أرجائها نخيل وحدائق ، وكانت من منازل القوافل المترددة بـــين الشام والمدينة ومكة ، ومجتمع سوق فى كل عام ، وهى اليوم مستراح للمسافرين فى الذهاب والاياب بين مكة والمدينة ، وتقع فى سهل يحـــده من الشرق جبال وعرة ، ومن الغرب الى جهـــة البحر الاحمر كثبان رملية ، ومن الجنوب الى جهـــة مكة آكام صخرية ، وفى شمالها من ناحية المدينة : « العدوة الدنيا » ، وفى جنوبها من ناحية مكة : « العدوة القصوى » ، وكانت وقعة بدر بين الجبال الشرقية والوادى حيث القلب (٣) والى هاتين العدوتين يشير الله فى قوله : « إذ أنتم بالعـــدوة الدنيا وهم بالعـــدوة القصوى » (٤) .

. . . . .

كانت « وقعة بدر » أول حرب بين المسلمين وقريش ، وأول مشـــهد من مشاهد القتال يباشره الرسول صلى الله عليه وسلم ــ بنفسه ، ويقف فيه موقف المحارب ، وقد سبقت موقعة بدر عدة غزوات وسرايا كان يراد بها تهديد قوافل قريش الذاهبة بالتجارة بين الشام ومكة ، ثم استطلاع أخبار قريش والقبائل العربية القريبة من المدينة ، ثم اظهار القوة حتى لا يطمع أعــداء المسلمين فيهم ، وحتى يستجيب الاعراب الذين تقع بيوتهم على طريق تجارة الشام الى التحالف معهم .

. . . . .

توتر الموقف ، ونشأ ما يشبه « حالة حرب » بين المســلمين وقريش منذ الهجرة ، فقد خرج المسلمون من مكة فرارا بدينهم بعد أن صبروا على عــدوان قريش وايذائهم سنين عدة ، وحالف الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ الانصار من أهل المدينة على الايواء والنصرة حتى يبلغ رسالة ربه ، ووقعت البغضاء بين أهل المدينة وأهل مكة بسبب الهجرة ، فكانت قريش تخشى مكان المسلمين فى المدينة على مقربة من طريقهم الى الشـام ، وكان المسلمــون يخشون أن تقصد قريش لحربهم فى دار هجرتهم ، وساد الموقف شعور بأن هناك لقاء قريبا يستدعى أن يتخذ له عدته ، وأن يفعل من أجله شىء ، وليس فى نظر المسلمين من اجراء حاسم يتخــذ أهم من القضاء على تجارة قريش .

. . . . .

كان الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ يعرف أن حياة قريش فى تجارتها ، وعليها مدار حياتها كلها ، فاذا صودرت أو حيل بينهــا وبين أسواقها المعتادة ، أصابها ضرر بالغ ، ودمرت حياتها ، وفل حدها ، فاذا سلمت تجارتها ، وراجت وربحت ، قويت شوكتها واشتد ساعدها فكــان على الرسول وصحبه أن يهدموا عوامل هذه القوة حتى تكف قريش يدها عن الرسول وصحبه ، ولذلك عندما سمع الرسول بقدوم عير قريش من الشام تحمل تجارتها يقودها أبو سفيان بن حرب فيها أموال كثيرة قدرت « بخمسين ألف دينار » (٥) ، ومعه ثلاثون أو أربعون رجلا ، ندب أصحابه اليها ، وقال : هــذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينَفِّلكموها ، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يلقى حربا (٦) ، فكان عدة من خرج ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، معهم فَرَسان أو ثلاثة ، وسبعون بعيرا يعتقبونها واتجهوا نحو بدر (٧) ، وكان خروجهم يوم الاثنين لثمان ليال خلون من رمضان من السنة الثانية للهجرة (٨) .

. . . . .

ولما دنا أبو سفيان من الحجاز كان يتحسس الاخبار تخوفا عــلى أموال الناس ، فعرف أن المسلمين خرجوا للعير فاستأجر : « ضمضم بن عمرو الغفارى » فبعثه الى مكة ، وأمره أن يأتى قريشا يستنفرهم الـــى

أموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها مع أصحابه (٩) ، فجاء مكة مسرعا وقد جدع بعيره ، وحوّل رحله ، وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث (١٠) ، فتجهز الناس سراعا وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ، كلا والله ليعلمن غير ذلك ، (١١) ثم خرج القوم فيهم أشرافهم وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا ، وقيل ألف رجل ، وكانت خيلهم مائة فرس ، وإبلهم سبعمائة (١٢) ، وخرجوا ومعهم المغنيات يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين وهم فى غاية البطر والخيلاء لكثرة عَددهم وعُددهم وفيهم نزل قوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط » (١٣) .

. . . . .

ولما وصل الرسول — عليه الصلاة والسلام — وادى الصفراء على مقربة من بدر أتاه الخبر بمسير قريش لحماية عيرهم فاستشار أصحابه فتكلم المهاجرون فأبانوا عن طاعتهم وانقيادهم للرسول حيث توجه بهم ، وكان الرسول ينتظر رأى الانصار لأن العدد فيهم ، ولانهم لم يبايعوا على الخروج للحرب ، ولكن على الدفاع فى المدينة ، فقال : أشيروا علىّ أيها الناس ، فقال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسار بهم الرسول حتى نزلوا قريبا من بدر ، وقال : أبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم (١٤) .

. . . . .

وأما أبو سفيان فعرف اقتراب المسلمين من طريقه على بدر فعدل الى الساحل ونجا بالعير وأرسل الى قريش يخبرهم بما فعل ، وكانت قريش إذ ذاك « بالجحفة » (١٥) ، فرأى بعضهم من الحزم الرجوع الى ديارهم بعد أن نجت العير ، فرجعت بنو زهرة ، ورأى بعضهم أن يسيروا حتى ينزلوا ببدر ، قال ابن اسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل « عمرو بن هشام » : والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليه ثلاثا ، وننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا ، فامضوا ، فساروا حتى نزلوا وراء الكثيب الذى يحد سهل بدر من الغرب بالعدوة القصوى من الوادى (١٦) .

. . . . .

تحسس المسلمون الاخبار فعرفوا مكان قريش منهم فساروا حتى نزلوا على أدنى ماء من بدر ، فجاء الحباب بن المنذر ، وقال : يا رسول الله ، أهـــذا منزل أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، قال : يا رسول الله فان هـــذا ليس لك بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء سواه فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا ونملأه ماء فنشرب ولا يشربون ، فعل رسول الله ذلك (١٧) .

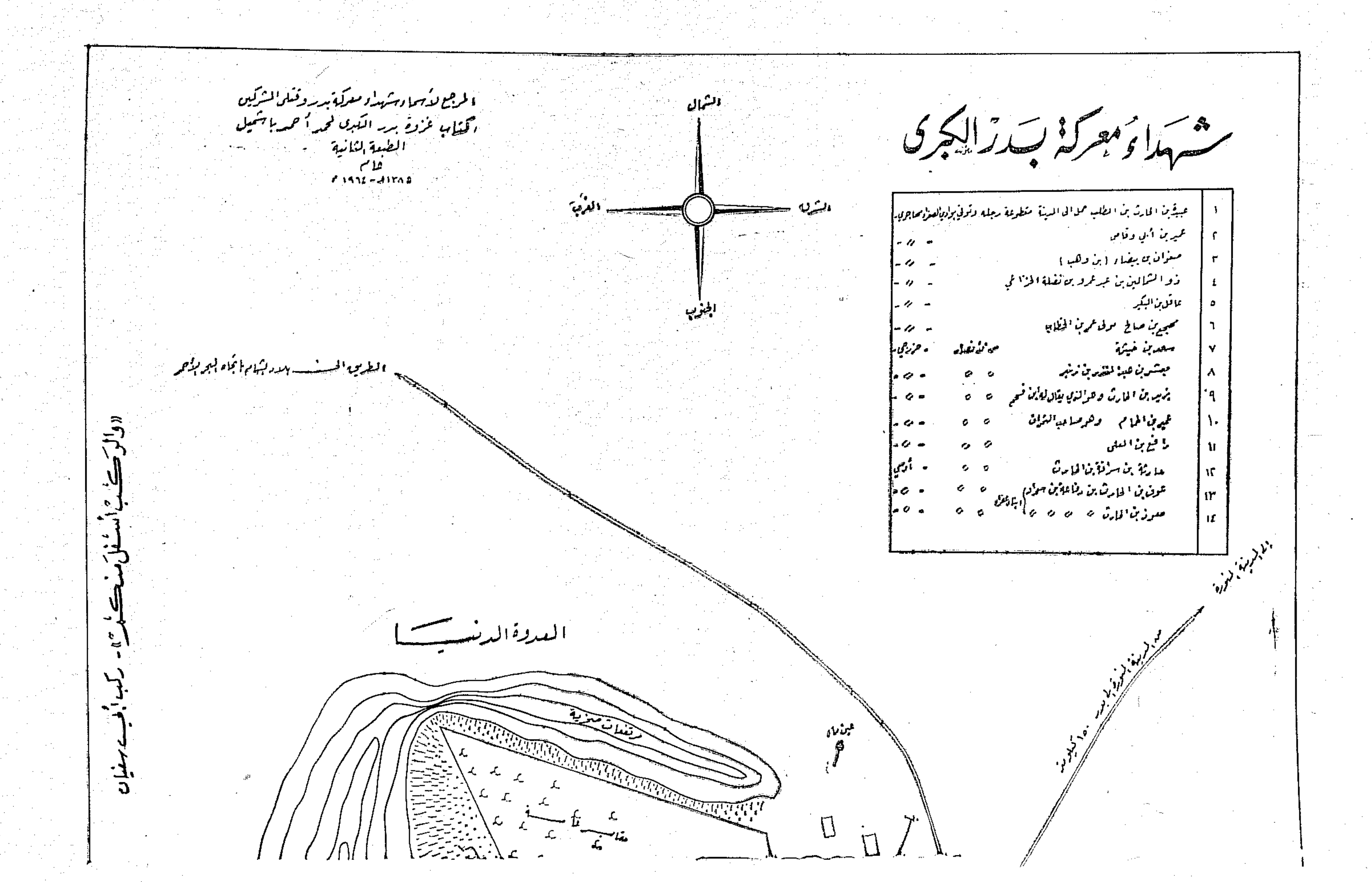
وجاء سعد بن معاذ وقال للرسول قبيل الموقعـــة : يا نبى الله نبنى لك عريشا من جريد فتكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك مما أحببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك قوم يا نبى الله ما نحن بأشد حبا لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك ، فقبل الرسول وبُنِىَ له عريش فكان فيه (١٨) .

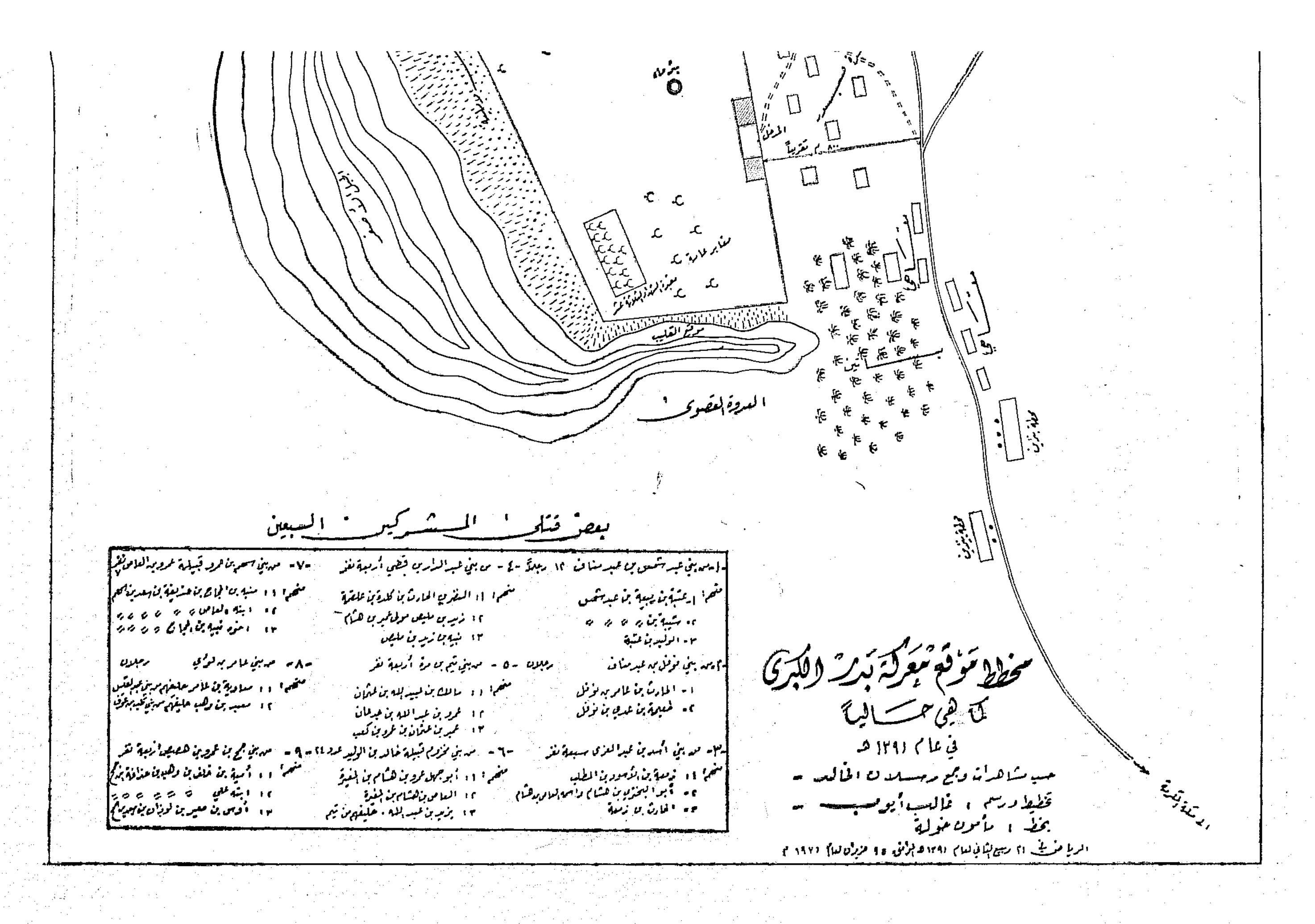
. . . . .

وفى صبح يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان مـــن السنة الثانية للهجرة ارتحلت قريش الى سهل بدر فاجتازت الكثيب ، قال ابن اسحاق : فلما رآها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحنهم (أهلكهم) الغداة (١٩) ، وأصبح المسلمون وجها لوجه مع عدوهم ، ورأى بعض زعماء قريش أن يرجعوا ولا يؤرثوا الحرب ، وعارضهم أبو جهل وحرض عامر بن الحضرمى على المطالبة بدم أخيه عمرو الذى قتله واقد بن عبد الله التميمى فى سريـــة عبد الله بن جحش ، فصاح : واعمراه ، واعمراه ، وثار الشر بين الفريقين فخرج الاسود بن عبد الأسد المخزومى ــ وكان شرسا سىء الخلق ــ فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لأموتن دونه ، فلما خرج لقيه حمزة بن عبد المطلب فضربه فأبان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على الارض ثم حبا الى الحوض فاقتحم فيه ليبر يمينه ، وتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض (٢٠) ثم خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة ، وابنه الوليد بن عتبة يطلبون المبارزة ، فقصدهم ثلاثة من فتيان الانصار فأبوا الا أقرانهم من قريش ، فخرج اليهم عبيدة بن الحارث بن المطلب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طـــالب فتبـــارزوا وقتل الثلاثة المسلمون أقرانهم ، ثم تزاحف الناس وتدانوا والرسول فى العريش يناشد الله النصر ويقول : اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد بعد اليوم ، وابو بكر يقول : يا نبى الله بعض مناشدتك ربك فان الله عز وجل منجز لك ما وعدك (٢١) .

. . . . .

التقى الجندان « ففتح الله على رسوله ، وأخزى أئمة الكفر ، وشفى صدور المسلمين منهم » (٢٢) ، وكانت هزيمة ساحقـــة للقرشيين ، قتل


شهداء معركة بدر الكبرى
١ عبيدة بن الحارث بن المطلب حمل الى المدينة مقطوعة رجله وتوفي بوادي الصفراء مهاجري
٢ عمير بن أبي وقاص
٣ صفوان بن بيضاء (بن وهب)
٤ ذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي
٥ عاقل بن البكير
٦ مهجع بن صالح مولى عمر بن الخطاب
٧ سعد بن خيثمة
٨ مبشر بن عبد المنذر بن زنبر
٩ يزيد بن الحارث وهو الذي يقال له ابن فسحم
١٠ عمير بن الحمام وهو صاحب التمرات
١١ رافع بن المعلى
١٢ حارثة بن سراقة بن الحارث
١٣ عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد
١٤ معوذ بن الحارث
ابناء عفراء
المرجع لأسماء شهداء معركة بدر وقتلى المشركين
الكتاب غزوة بدر الكبرى لمحمد أحمد باشميل
الطبعة الثانية
عام
١٣٨٥هـ - ١٩٦٤م
الشمال
الجنوب
الشرق
الغرب
العدوة الدنيا
عين ماء
«والركب أسفل منكم» - ركب أبي سفيان



الجبل الأصفر
العدوة القصوى
موقع القليب
مقابر عامة
محطة بنزين
إلى مكة المكرمة
بعض قتلى المشركين السبعين
١- من بني عبد شمس بن عبد مناف ١٢ رجلاً
منهم: ١- عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
٢- شيبة بن " " "
٣- الوليد بن عتبة
٢- من بني نوفل بن عبد مناف
١- الحارث بن عامر بن نوفل
٢- طعيمة بن عدي بن نوفل
٣- من بني أسد بن عبد العزى سبعة نفر
منهم: ١- زمعة بن الأسود بن المطلب
٢- أبو البختري بن هشام واسمه العاص بن هشام
٣- الحارث بن زمعة
٤- من بني عبد الدار بن قصي أربعة نفر
منهم: ١- النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة
٢- زيد بن مليص مولى عمير بن هاشم
٣- نبيه بن زيد بن مليص
٥- من بني تيم بن مرة أربعة نفر رجلان
منهم: ١- مالك بن عبيد الله بن عثمان
٢- عمرو بن عبد الله بن جدعان
٣- عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب
٦- من بني مخزوم قبيلة خالد بن الوليد عدد ٢٤
منهم: ١- أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة
٢- العاص بن هشام بن المغيرة
٣- يزيد بن عبد الله . حليفهم من تيم
٧- من بني سهم بن عمرو قبيلة عمرو بن العاص ٧ نفر
منهم: ١- منبه بن الحجاج بن حذيفة بن سعد بن سهم
٢- ابنه العاص " " "
٣- أخوه نبيه بن الحجاج " " "
٨- من بني عامر بن لؤي رجلان
منهم: ١- معاوية بن عامر حليفهم من بني عبد القيس
٢- معبد بن وهب حليفهم من بني كلب بن عوف
٩- من بني جمح بن عمرو بن هصيص أربعة نفر
منهم: ١- أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح
٢- ابنه علي " "
٣- أوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح
مخطط موقع معركة بدر الكبرى
كما هي حالياً
في عام ١٣٩١ هـ
حسب مشاهدات وجمع مستندات المؤلف
تخطيط ورسم : غالب أيوب
بخط : مأمون حمولة
الرياض في ٢١ ربيع الثاني لعام ١٣٩١ هـ الموافق ١٥ حزيران لعام ١٩٧١ م

منهم سبعون رجلا ، وأسر سبعون ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر ، ثمانية من الانصار ، وستة من المهاجرين (٢٣) وطار خبر الهزيمة الى قريش بمكة فزلزلوا زلزالا عظيما ، وعمهم حـــزن عميق لمصابهم ، فى سادتهم وأشرافهم وكبرائهم ، كما وصلت البشرى الى أهل المدينة بانتصار المسلمين ففرح المسلمون بنصر الله ، واغتم اليهود والمنافقون فى المدينة ، وامتلأت نفوسهم بالحقد والكراهية والضغينة (٢٤) .

• • • • •

انتهت الموقعـــة بالنصر المبين ، ثم فرق الرسول ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ الاسارى بين أصحابه وأوصاهم بهم خيرا ثم كان الفداء على المال للقادرين ، وعلى تعليم أطفال المسلمين القراءة لمن استطاع ولم يكن ذا مال ، ومن الرسول على الآخرين ، وحينما ثار الخلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم على الغنيمة نزل قوله تعالى : « يسألونك عن الأنفال ، قل : الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » (٢٥) وحسم الرسول عليه الصلاة والسلام الموقف فجمع الغنائم كلها وحجز لنفسه منها الخمس ووزع الباقى تنفيذا لأمره تعالى فى قوله : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير » (٢٦) ، فكان فى ذلك تقوى الله وطاعته ، وطاعة رسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وصلاح ذات البين (٢٧) .

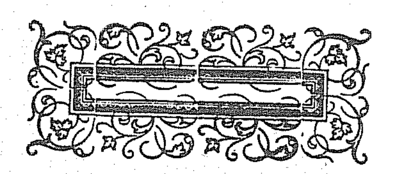
• • • • •

وموقعـــة بدر الكبرى من أولها الى آخرها من تدبير اللـــه وحده سبحانه كما سجلته سورة الأنفال ابتداء من الخروج الى نهاية النصر ، ذلكم النصر الذى امتن الله بـــه على رسوله والمؤمنين فى قوله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » (٢٨) ، حيث كان المسلمون على الثلث من عدوهم ، ليس معهم من الظهر سوى فرسين أو ثلاثة ، وسبعين بعيرا يتعاقبون عليها ، البعير بين الرجلين والثلاثة والاربعة ، لم يستجمعوا عدة الحرب الكاملة ولا آلتها ، ولم تكن الروح المعنوية لديهم يومئذ عالية ، فقد خرجوا يريدون العير طمعا فـــى الغنيمة ، فلما عرفوا أن قريشا قد ساروا اليهم كرهوا لقاء القوم على هذه الحال ، وجادلوا الرسول فى ذلك ، فنزل قوله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وان فريقا من المؤمنين لكارهون . يجادلونك فى الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون » (٢٩) .

وإحراز المسلمين النصر فى مثل هـــذه الظروف يعتبر من تدبير الله وحده ، يقول تعالى : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » (٣٠) ، ويقول : « إذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق

الأعناق ، واضربوا منهم كل بنان » (٣١) ثم يقول سبحانه : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » (٣٢) .

ثم هي أخيرا أعظم وأفضل غزوات الاسلام — اذا استثنينا غزوة الحديبية التى تمت فيها بيعة الرضوان ، والتى مهدت لفتح مكة — لان هذه الغزوة : استقر بها أمر المسلمين من بعد فى بلاد العرب جميعا ، والتى كانت مقدمة وحدة شبه الجزيرة فى ظلال الاسلام ، ومقدمة الامبراطورية الاسلامية المترامية الأطراف ، والتى أقرت فى العالم حضارة لا تزال ، ولن تزال ذات أثر عميق فى حياته (٣٣) ، وغدت منذ ذلك التاريخ من أمجادنا الاسلامية الخالدة .



---

(١) سيرة النبى لابن هشام ، ج ٢ ص ٢١٥ ، المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ ، وتاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٦ المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٣٨٤ هـ ، وتاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤٤٦ طبع دار المعارف بمصر ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير طبعة منير بمصر سنة ١٣٤٩ هـ . (٢) سورة الانفال آية / ٤١ . (٣) انظر الخريطة . (٤) سورة الأنفال آية ٤٢ . (٥) امتاع الأسماع للمقريزى ج ١ ص ٦٦ . (٦) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ١٩٦ ، ١٩٧ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٤٢٧ ، والكامل فى التاريخ ٢ : ٨٠ . (٧) تاريخ الطبرى ٢ : ٤٣١ ، ٤٣٢ . (٨) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٠٢ . (٩) تاريخ الطبرى ٢ : ٤٢٧ والكامل فى التاريخ ٢ : ٨٠ ، ٨١ . (١٠) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ١٩٩ ، والكامل فى التاريخ ٢ : ٨١ (١١) تاريخ الطبرى ٢ : ٤٣٠ . (١٢) الكامل فى التاريخ ٢ : ٨٢ . (١٣) سورة الانفال آية ٤٧ . (١٤) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٤٣٥ ، والكامل فى التاريخ ٢ : ٨٤ . (١٥) الجحفة ميقات أهل الشام للاحرام بالحج بالقرب من رابغ ميقات المصريين . (١٦) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٠٩ . (١٧) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢١٠ ، ٢١١ . (١٨) المرجع السابق ٢ : ٢١١ . (١٩) المرجع السابق ٢ : ٢١١ . (٢٠) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢١٤ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٤٤٥ ، والكامل فى التاريخ ٢ : ٨٦ . (٢١) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢١٦ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٤٤٧ ، والكامل فى التاريخ ٢ : ٨٧ . (٢٢) تاريخ الطبرى ٢ : ٤٢٤ . (٢٣) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٧ ، والكامل فى التاريخ ٢ : ٩٥ ، ٩٦ . (٢٤) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٣١ ، والكامل فى التاريخ ٢ : ٩٠ ، ٩٢ . (٢٥) سورة الانفال آية : ١ . (٢٦) سورة الانفال آية ٤١ . (٢٧) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٥٤ . (٢٨) سورة آل عمران ، آية ١٢٣ . (٢٩) سورة الانفال آية ٥ ، ٦ . (٣٠) سورة الانفال آية ٩ . (٣١) سورة الانفال آية ١٢ . (٣٢) سورة الانفال آية ١٧ . (٣٣) حياة محمد للدكتور محمد حسنين هيكل ، ص ٢٦١ ، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٤ هـ .

مائدة القارئ

الخمس

« اعطيت امتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى : أما واحدة فانه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم ، ومن نظر الله اليه لم يعذبه ابدا ، وأما الثانية فان خلوف افواههم حين يمسون اطيب عند الله من ريح المسك ، وأما الثالثة فان الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم ، وأما الرابعة فان الله يأمر جنته فيقول لها : استعدى وتزينى لعبادى ، اوشك . وفى رواية : يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى دار كرامتى ، وأما الخامسة فانه اذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا : « فقال رجل : أهى ليلة القدر يا رسول الله ؟ قال : « لا ، ألم تر الى العمال يعملون ، فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا اجورهم » .

شهر النبوة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته يجاور شهرا من كل سنة بغار حراء يطعم من جاءه من المساكين . حتى اذا جاء الشهر الذى أراد الله ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان خرج الى حراء كما كان يخرج حتى اذا كانت الليلة التى اكرمه الله فيها برسالته جاءه جبريل من الله عز وجل .

حائط الاسلام وبابه

خطب سعد بن شريك بحمص فقال :

ان الاسلام حائط منيع ، وباب وثيق .

فحائط الاسلام الحق ، وبابه العدل ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، واخذ بالعدل .

دعاء

دعت عربية لرجل احسن اليها ، فقالت:

اذل الله كل عدو لك الا نفسك .

وجعل نعمته هبة لك لا عارية عندك .

واعاذك من بطر الغنى وذل الفقر .

وفرغك لما خلقك له ، ولا شغلك بما تكفل به لك .

عــزة النفس

سئل هاتم الطائي عن اعز الناس نفسا فقال :

ذبحت يوما اربعين حلوبة للأضياف ، ثم سرت فى البيداء ، فبلغت اجمة فيها رجل يحتطب ، فقلت له : اما سمعت بكرم حاتم وسماحته ، قال : بلي ، قلت : هلا استضافك قال : ثكلتني امي لو انه استضافني وقبلت ضيافته فانني ما دمت استطيع الكسب بعرق جبيني فمن العار ان يكون لكريم يد اغضى لها .

احرقوا اللوائح

يحكى أن الوزير على مبارك باشا دخل مكتبه يوما ، فوجد عليــه لوائح مكدسة وهي لكثرتها وتعقدها لا تنهى أمرا ، ولا تنجز عملا ، ولاحظ أن هنــاك لوائح ناسخة ولوائح منسوخة ، ومادة فى لائحة تناقض مادة في لائحــة أخرى ، ومادة فى اللائحة القديمة والجديدة لا تتفق مع العدالة ، والوزارة كلها من كتبتها الى وزيرها مستعبدون للوائح التى وضعت لتنظيم العمل ، فاذا هى الآن تشل العمل .

فأمر كاتبه أن يحضر مساء يوم لانه هو سيحضر ، فلما كان الموعد حضر الكاتب وحضر الوزير ، فأمره ان يحمل هذه اللوائح الى حجرة خالية ، ففعل ، وذهب الباشا بنفسه الى الحجرة ، وأخرج من جيبه عود كبريت وأشعله فــى اللوائح ، ووقف يتلذذ من رؤية النار تلتهمها ثم عاد الى مكتبه وقــال : الآن نبدأ العمل على نظافة .

حق الحضانــة

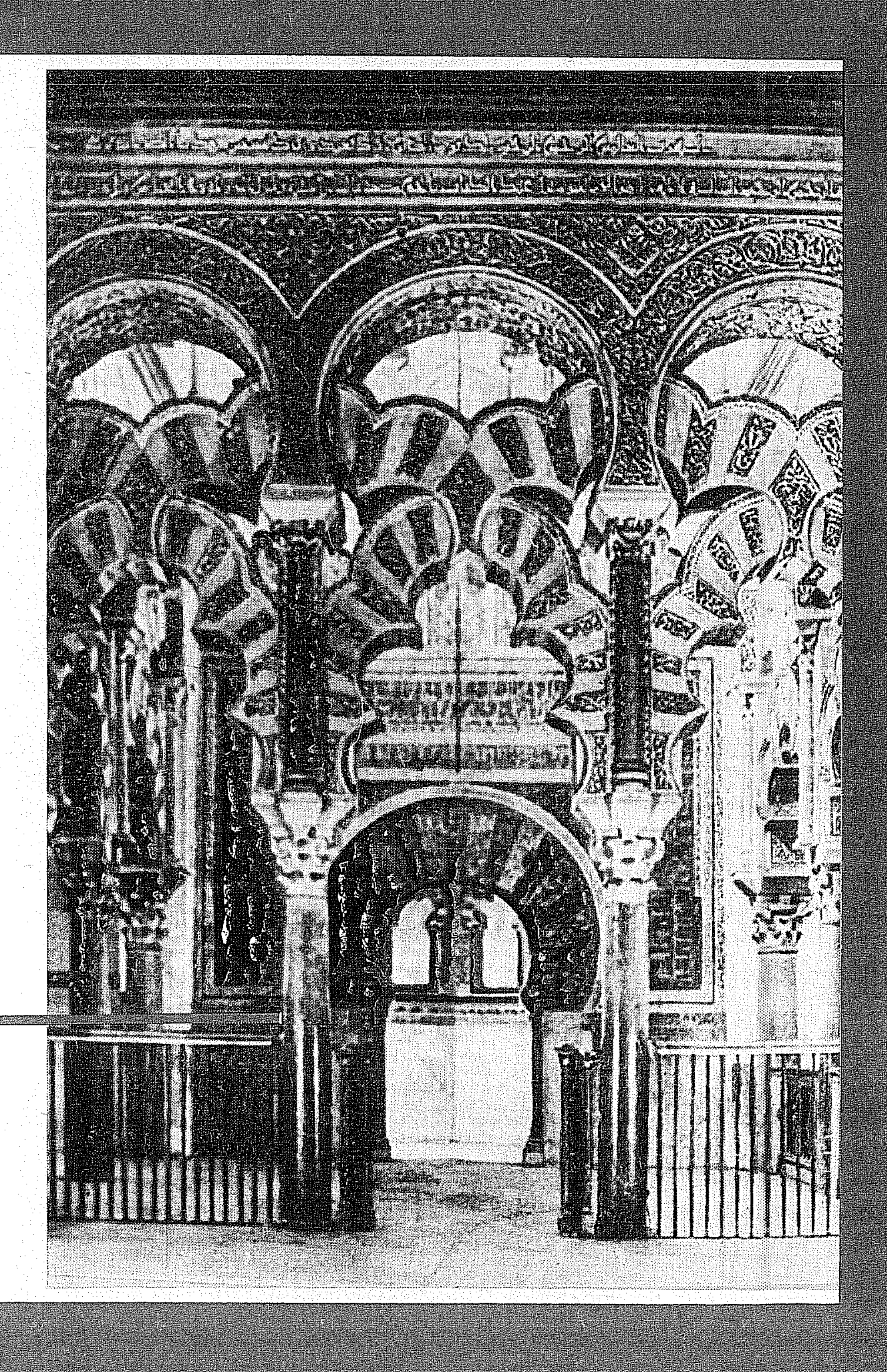
روى ان امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت :

يا رسول الله . ان ابني هذا كان بطني له وعاء ، وثديي له سقاء ، وحجري له حواء ، وان اباه طلقني ، واراد ان ينتزعه مني .

فقال لها عليه الصلاة والسلام : انت احق به ما لم تنكحي ((تتزوجي)) .

الانسان حيث وضع نفسه

كان كافور الاخشيد وصاحبه عبدين مملوكين ، فجيء بهما الى مدينة القطائع عاصمة الدولة الطولونية فى مصر ليباعا فى اسواقها ، فتمنى صاحبه ان يباع طباخا ، وتمنى كافور ان يملك هذه المدينة ، وقد بلغ كــل مناه ، فبيع كافور لأحد القواد ، وبيع صاحبه الطباخ ثم مرت الايام فاصبح كافور ملك مصر ، ومر يوما بصاحبه فرآه عند سيده يسيء معاملته فقال لمن معه ، لقد قعدت بهذا همته ، فكان كما ترون ، وطارت بى همتى فكنت كما ترون ، ولو جمعتني واياه همة واحدة لجمعنا عمل واحد .



ليلة القدر في جامع قرطبة الأعظم

للأستاذ عبد المجيد وافي

منذ ان هدى الله العالم ببعثة خاتم المرسلين ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ وانتشرت أضواء رسالته فعمت الأرجاء ، وطبقت الآفاق ، وشهر رمضان المبارك من كل عام ، موسم من مواسم الخير والهدى ، لا يخلو قطر اسلامى من احتفاء به ، ولا تجد مدينة صغيرة أو كبيرة تفترش بقعة من آفاق الاسلام الرحيبة الا وقد غمرتها بركات الشهر المعظم ونفحاته .

وما دخل الاسلام ارضا دون أن يكون لذكرى نزول القرآن احتفال بها واحتفاء ، صيام نهار وقيام ليل ، ما شذ عن ذلك بلد ولا أفق ، حتى دخل الاسلام ـــ أوروبا ـــ من غربها ، وعمر بالأندلس قرونا ثمانية ، نشر بها الهدى ، ورفع لواء الحضارة ، واخرج الغرب من بداوته ، واخرجه في جهالته .

وكان للدولة الاسلامية بالأندلس أكثر من حاضرة ، عمرت جميعها بالمساجد الجامعة ، ومن فوق صوامعها ارتفعت اصوات المؤذنين مجلجلة

المحراب خلف القصور المخصصة المتقاطعة تحفة عمارة الحكم .

والفسيفساء كريش الطواويس بألوان قوس قزح تغطى واجهة داخل المحراب حيث كان مصحف الخلافة يوضع .

وتحت السقف ـــ فوق الأقواس المتعانقة بقايا طرازى كتابة كوفية ، الاعلى فاتحة الكتاب وتحته البسملة واول سورة آل عمران.

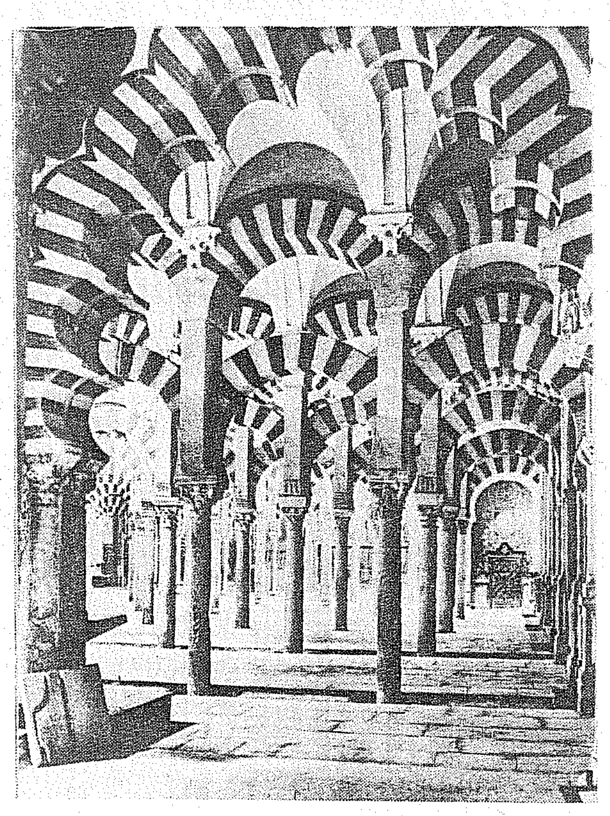
والسور الحديدى كان مكانه فى العصر العربى مقصورة خشبية روعة فى الصناعة والتلبيس بين الخشب والجوهر وكريم المعدن .

كل ذلك قد ضاع ...

بذكر الله وتكبيره كما امتلأت رحابها بحلقات الدرس ، وخلوات العبادة على طول أيام السنة .

فاذا ما أهل رمضان المعظم ، ازدحمت تلك المساجد بالذاكرين والقائمين ، وزاد القومة على أمرها من عنايتهم ، واعطى أصحاب النفقة ، لاجتلاب زيوت الاضاءة والشموع وفاضت اضواؤها حتى قارب ليلها نهارها فى ضوئه ولألائه .

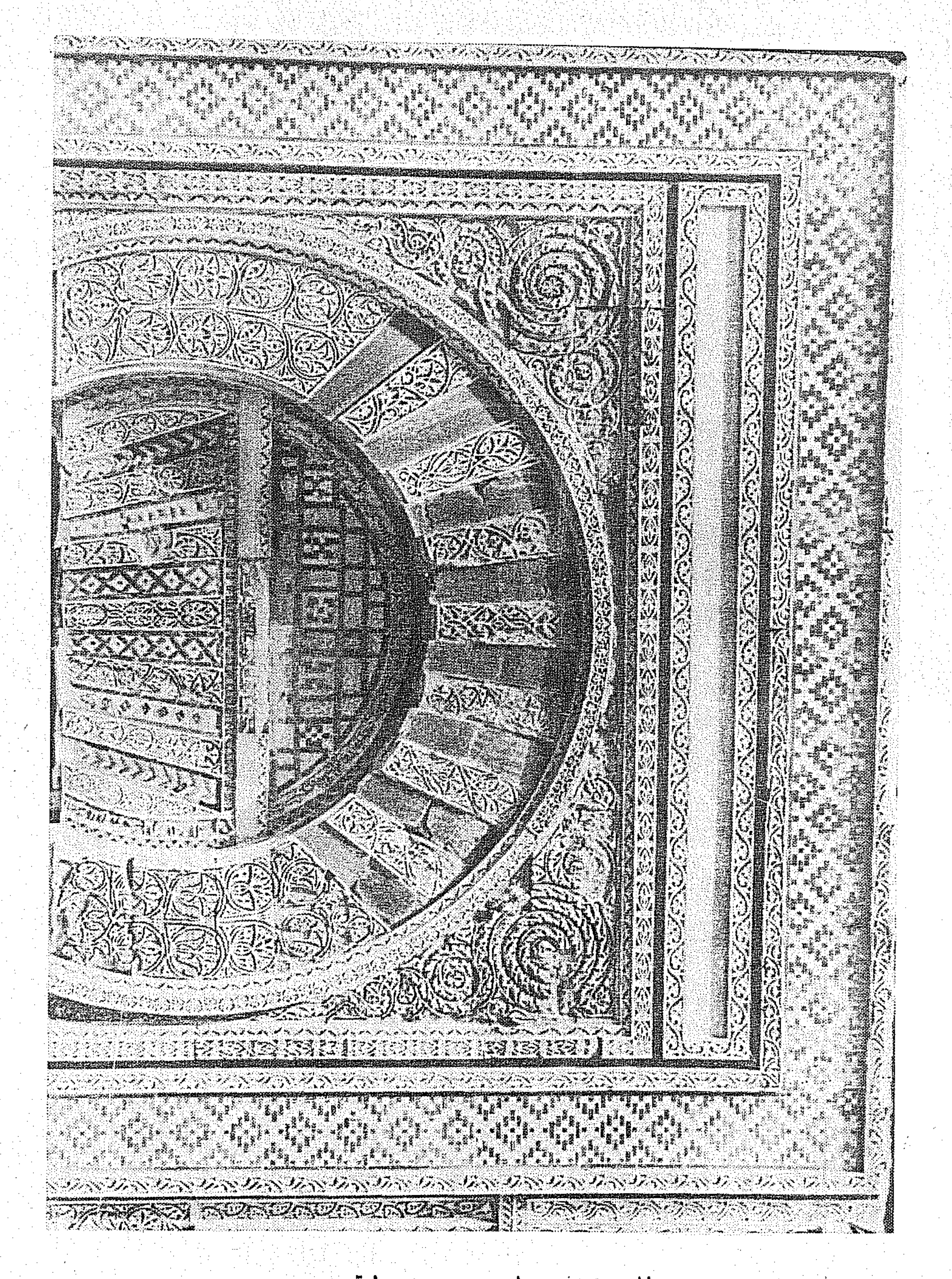
ولقد ظلت قرطبة عاصمة الاسلام بالاندلس ما يقرب من خمسة قرون (١) ينتشر منها الضياء ، ويرتفع عليها اللواء ، واليها يقدم طلاب المعرفة ، ورواد العلم والحضارة .



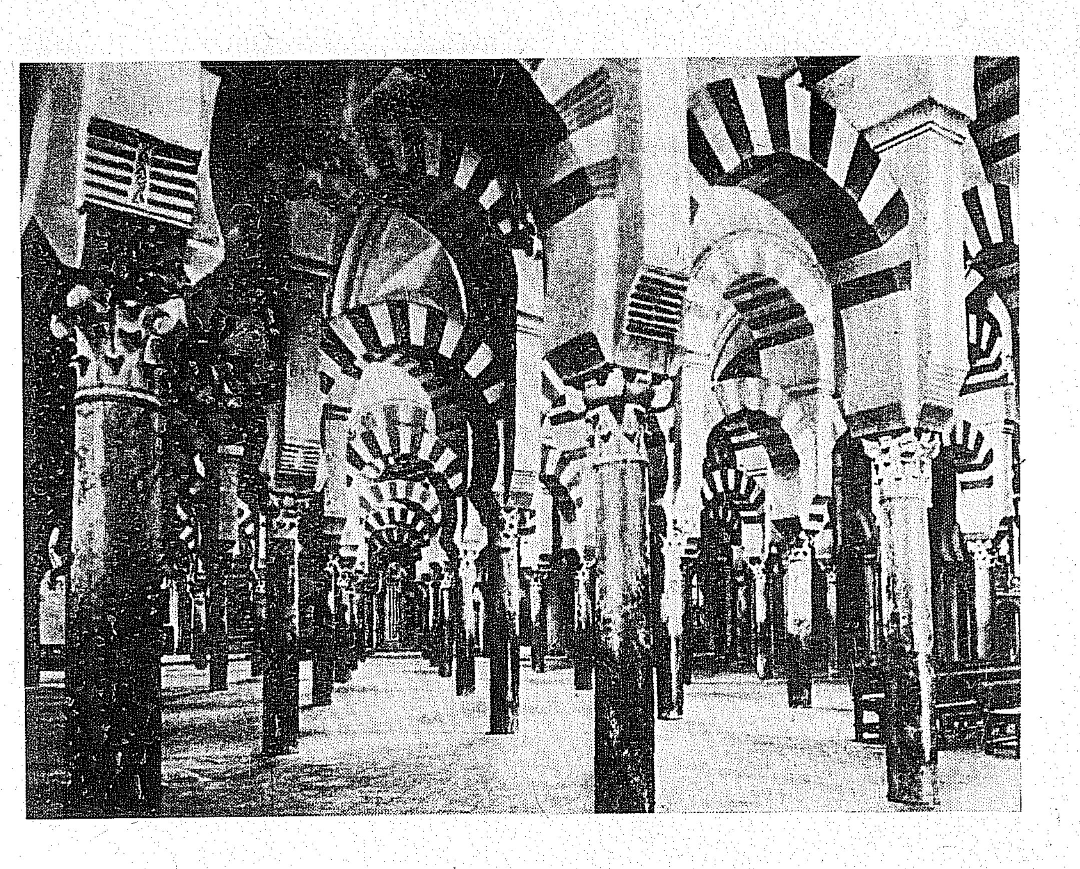
جزء من عمارة المنصور ابن ابى عامر بالمسجد الجامع .
وفى اقصى اليمين مصلى مسيحى مما اقحم على بيت الصلاة تزرى به روعة العقود الاسلامية المزدوجة والمفصصة .

كما ظل مسجدها الجامع ــ الجامع الاعظم ــ كما لقبه جميع مؤرخى الأندلس ــ لؤلؤة المساجد ودرة الخلافة ، ومنار العلم ، ومقصد حجاج المغرب الى أرض الفردوس .

بدأ عمارته عبد الرحمن الداخل عام ١٦٩ هـ قبيل وفاته حيث مات عام ١٧١ هـ قبل ان تتم اللمسات الأخيرة لمظهره العظيم ، وزاد فى عمارته حفيده وسميه عبد الرحمن الاوسط زيادتين ، الاولى من جانبيه عام ٢١٨ هـ ــ



زخارف فوق محراب مسجد قرطبة



غابة الأعمدة بالجامع القرطبى الاعظم ... وكراسى الصلاة المسيحية .
هذا جزء فقط من عمارة الداخل .

٨٣٣ م ، والثانية فى العمق من جهة المحراب عام ٢٣٤ هـ ــ ٨٤٨ م أتمها من بعده ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن .

وكانت ذروة التوسعات وأروعها جمالا وفخامة ــ رغم روعة الأصل والزيادتين ــ ما قام به الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الثالث على مدى السنوات ٣٥٤ هـ ٣٥٥ ، ٣٥٦ هـ ، ثم ما زاد فى صحنه ، واعادة بناء منارته « صومعته » ، وأجرى الماء فى صحنه للوضوء بالقنوات من الجبال الى المسجد وجاء من بعد هؤلاء الأمراء الأمويين ، الوزير الحاجب ــ المنصور بن ابى عامر ــ أو محمد بن ابى عامر الذى تخرج فى رحاب المسجد الجامع ، وتدرج فى حلقات علمه ، حتى عرف بالفقه والكتابة .

فلما صارت الوزارة اليه ، وقام بالوصاية على ولى عهد الحكم ، بدأ زيادة فى شرقى المسجد تساوى مساحة العمارات الأموية الثلاث فى سنة ٣٧٧ هـ ــ ٩٨٧ م .

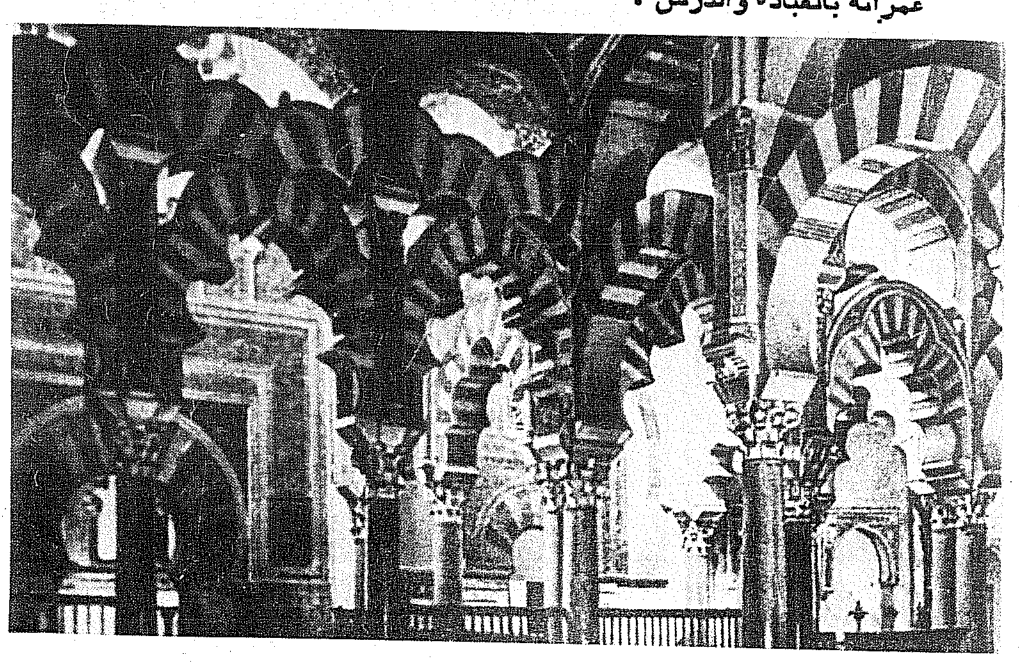
وما كانت عمارة المسجد أصلا الا بعد ضيق المسجد العتيق الذى أسسه التابعى حنش الصنعانى عقب الفتح أيام موسى بن نصير عام ٩٥ هـ .

وبدأ الداخل عمارته ، وكانت الزيادات جميعا لنفس سبب بنـاء المسجد العظيم ــ ضيق بيت الصلاة برواد المسجد ، حتي بلغت سواريه بعد زيادة المنصور ، ما يقرب من الف وأربعمائة سارية ، غير الأكتاف والدعامات .

وظل للمسجد رواؤه ، وطبقت فى الآفاق شهرته وأخباره حتى سقطت قرطبة فى يد القشتاليين عام ٦٣٦ هـ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، وبقى بعدها المسجد مسجدا قرابة خمسين عاما يؤمه المسلمون بالصلاة تحت الحكم الاسبانى ، الى أن غلب التعصب الحضارة ، واقيمت فى قلبه الصلوات المسيحية قبل أن يقتطع من قلبه لبناء كاتدرائية .

واذا كانت كتب الرحلات وأخبار الرواة تذكر وتفيض فى وصف هذا الجامع الأعظم فان الوصف يقصر عن الحقيقة ، وليس السماع كالعيان حتى بعد انقضاء ألف ومائتى عام على بدء عمارته ومرور سبع مائة عام على وقوعه اسيرا بين يدى القشتاليين ، فانه ما زال المسجد الجامع الأعظم .

كيف كان الجامع الاعظم ــ جامع قرطبة ــ فى رمضان أيام أهله ، وأوليائه ، كان عامر النهار بالحلقات والدروس ، مضىء الليل بالثريات الكبرى والتنانير والسرج والشموع يؤمه القوام ــ قوام الليل ــ وقراء القرآن ، وما تكاد الحركة تهدأ بعيد صلاة الفجر ، حتى تبدأ من جديد حلقات الفقه والتفسير والحديث دورانها ، وينتهى ليله الساهر ويخفت صوت القراء والمبتهلين قوام الليل ، ليبدأ نهاره تتردد فى جنباته الفسيحة اصوات العلماء ، وهمسات الطلاب بالأسئلة حياة العلم مدارسته ، وحياة الجامع عمرانه بالعبادة والدرس .



المحراب من خلف العقود ، وكذلك بـاب الساباط قد وشيا بالفسيفساء .
والى اقصى اليمين مصلى مسيحى لا طعم له فى هذا القدس .

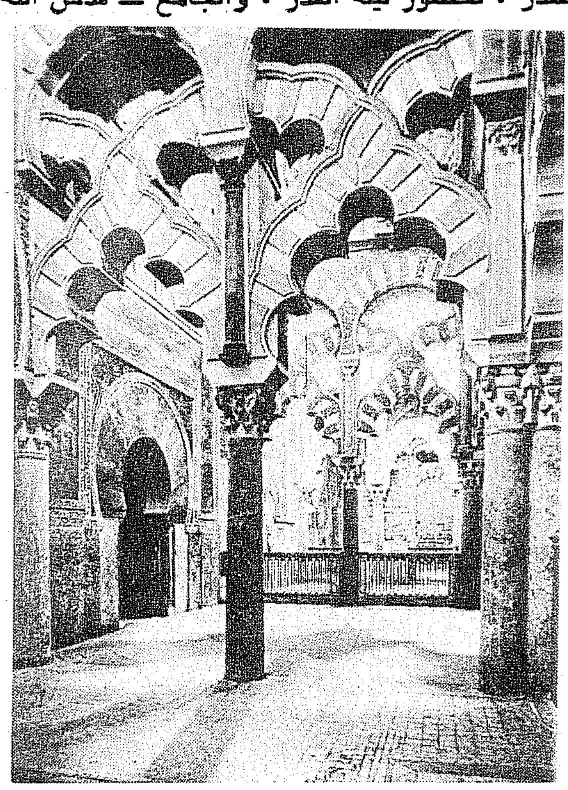
يروي مؤرخ الأندلس ــ المقري ــ صاحب نفح الطيب ــ في عبابي ما يروى من أخبار المسجد ، صورة حية لليلة من ليالي رمضان المعظم في أيام المسجد الأخيرة .

ولم يكن صاحب الصورة يدري أن الزمن قد دار دورته ، وآذن مجد قرطبة بالزوال عما قريب ، الصورة يصورها أبو محمد ابراهيم بن الولبنى ، فقيه وكاتب من عصر الموحدين آخر موجة اسلامية ادركت روابى الأندلس الاوسط ، هبت عالية فاوقفت زحف القشتاليين الى حين ، وانحسرت بعدها ليقف حكم المسلمين على مشارف غرناطة مدة قرنين ونصف قرن قبل غروب شمس الاسلام من افق الاندلس الحزين .

صورة حية تمتلىء بالوصف المتحرك ، تجتلى المحاسن ، وتحكى مشاعر الحس ، وعواطف النفس ، وتعكس الوميض المتلألىء فى ليلة القدر من الشهر المبارك ، لا يشوب جمالها الا اغراق صاحبها فى استعمال لوازم العصر ــ الادبية ــ من جناس وطباق وسجع ومقابلة .

خرج الكاتب الى قرطبة العامرة ، كعادة السراة والسادة ، من الحج الى قرطبة الحاضرة فى المواسم ، لحضور ليلة القدر .

((. . . وانى شخصت الى حضرة قرطبة ــ حرسها الله تعالى (٢) ــ منشرح الصدر ، لحضور ليلة القدر ، والجامع ــ قدس الله تعالى بقعته



رواق المحراب بالجامع الاعظم من عمارة الحكم المستنصر عام ٣٥٤ هـ .
والمحراب الى يسار الصورة والسور الحديدى لمنع دخول الزوار الا بعد دفع رسوم سياحية .

ومكانه ، وثبت اساسه وأركانه ــ قد كسى ببردة الازدهاء ، وجلى (٣) فى معرض البهاء ، كأن شرفاته (٤) فلول فى سنان ، او اشر فى اسنان ، وكأنما ضربت على سمائه كلل ، أو خلعت على أرجائه حلل ، وكأن الشمس قد خلفت فيه ضياءها ، ونسجت على اقطاره أفياءها ، فنرى نهارا قد أحدق به ليل (٥) ، كما احدق بربوة سيل ، ليل دامس ، ونهار شامس » .

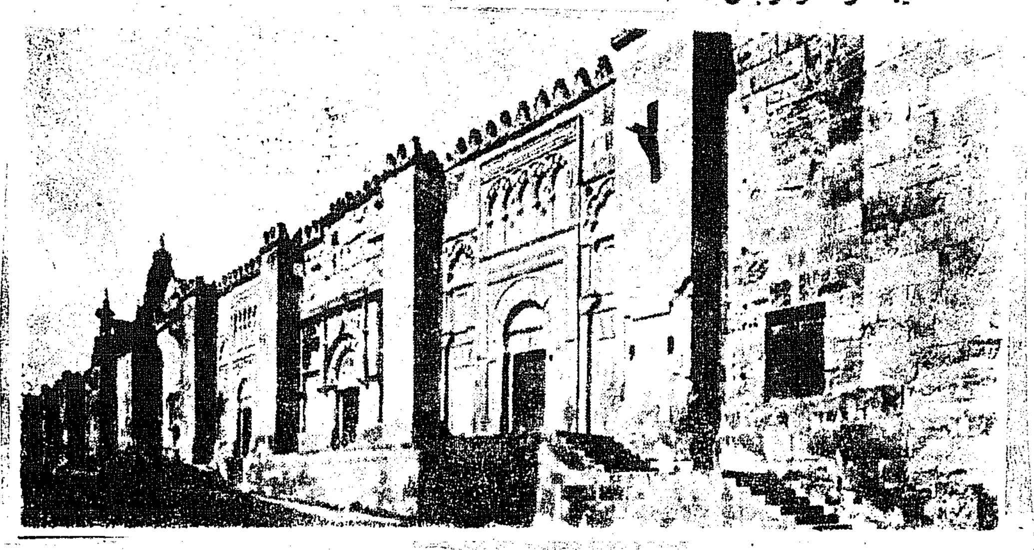
« وللذبال تألق كنضنضة الحيات (٦) ، أو اشارة السبابات فى التحيات ، قد أترعت من السليط كؤوسها (٧) ، ووصلت بمحاجن الحديد رؤوسها (٨) ، ونيطت بسلاسل كالجذوع القائمة ، أو كالثعابين العائمة ، عصبت بها تفاح من الصفر (٩) ، كاللقاح الصفر بولغ فى صقلها وجلائها ، حتى بهرت بحسنها ولألائها ، كأنها جليت باللهب ، وأشربت ماء الذهب . »

« .. ان سمتها (١٠) طولا رأيت منها سبائك عسجد ، أو قلائد زبرجد ، وان اتيتها عرضا رأيت منها أفلاكا ولكنها غير دائرة ، ونجوما ولكنها ليست بسائرة تتعلق تعلق القرط من الذفرى (١١) ، وتبسط شعاعها بسط الأديم حين يفرى (١٢) » .

« والشمع قد رفعت على المنار رفع البنود ، وعرضت عليها عرض الجنود ، ليجتلى طلاقة روائها القريب والبعيد ، ويستوى فى هداية ضيائها الشقى والسعيد ، وقد قوبل منها مبيض بمحمر ، وعورض مخضر بمصفر ، تضحك ببكائها وتبكى بضحكها ، وتهلك بحياتها وتحيى بهلكها (١٣) » .

« والطيب تضغم أفواخه (١٤) ، وتتنسم أرواحه ، وقتار الالنجوج والند ، يسترجع من روح الحياة ما ند (١٥) ، وكلما تصاعد وهو محاصر ، أطال من العمر ما كان قد تقاصر ، فى صفوف مجامر ككعوب مقامر (١٦) »

« وظهور القباب مؤللة وبطونها مهللة (١٧) ، كأنها تيجان ، رصع فيها قوت ومرجان (١٨) » .



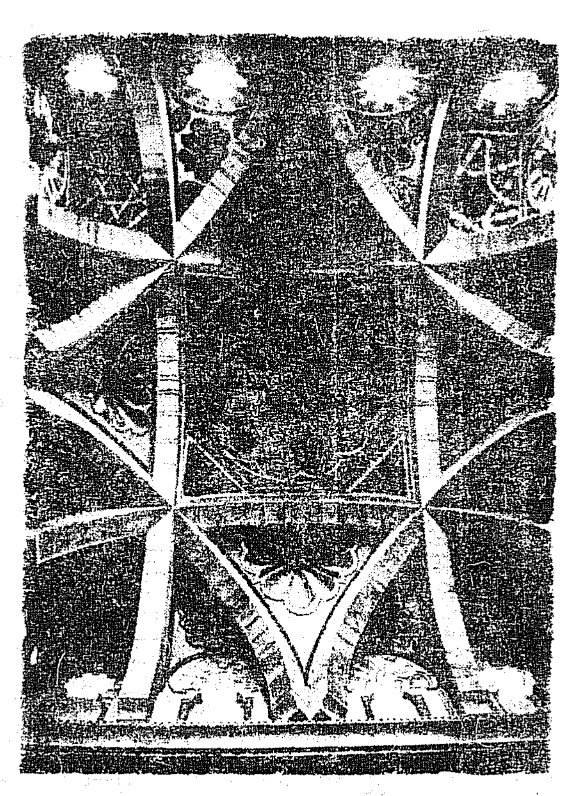
الجدار الغربى لجامع قرطبة الاعظم يطل على المحجة العظمى الطريق الذى كان يفصل بين الجامع والقصر .

والى اقصى اليمين باب الساباط اصبح مغلقا بعد هدم الساباط الذى كان يصل القصر بالمسجد لدخول الخلفاء .

« قد قوس محرابها احكم تقويس ، ووشم بمثل ريش الطواويس ، حتى كأنه بالمجرة مقرطق ، وبقرس قزح ممنطق ، وكأن اللازورد حول وشومه ، وبين رسومه ، نتف من قوادم الحمام ، أو كسف من ظلل الغمام (١٩) » .

« والناس أخياف فى دواعيهم ، وأوزاع فى أغراضهم ومراميهم ، بين ركع وسجد ، وأيقاظ وهجد ، ومزدحم على الرقاب يتخطاها ، ومقتحم على الظهور يتمطاها كأنهم برد خلال قطر ، أو حروف على عرض سطر » .

« حتى اذا قرعت اسماعهم روعة التسليم ، تبادروا بالتكليم ، وتجاذبوا بالأثواب ، وتساقوا بالأكواب ، كأنهم حضور طال عليهم غياب ، أو سفر أتيح لهم اياب ، وصفيك مع اخوان صدق ، تنسكب العلوم بينهم انسكاب الودق ، فى مكان كوكر العصفور — استغفر الله — أو ككناس اليعفور (٢٠) »



قبة من قباب مسجد قرطبة الجامع فريدة الطراز اقتبست بعد ذلك فى العمارة الدينية باوربا فى العصور الوسطى .

« كأن اقليدس قد قسم بيننا مساحته بالموازين ، وارتبطنا فيه ارتباط البياذق بالفرازين ، حتى صار عقدنا لا يحل ، وحدنا لا يفل (٢١) » .

« بحيث نسمع سور التنزيل كيف تتلى ، ونتطلع صور التفصيل كيف تجلى والقومة من حوالينا يجهدون فى رفع الضرر ، ويعمدون الى قرع الصمد بالدرر ، فاذا سمع بها الصبيان قد طبقت الخافقين ، وسرت نحوهم سرى القين ، توهموا أنها الي أعطافهم واصلة ، وفي اقحافهم حاصلة ،

ففروا بين الاساطين ، كما تفر من النجوم الشياطين كأنما ضربهم أبو جهم بعصاه (٢٢) ، أو حصبهم عمير بن ضابىء بحصاه (٢٣) . »

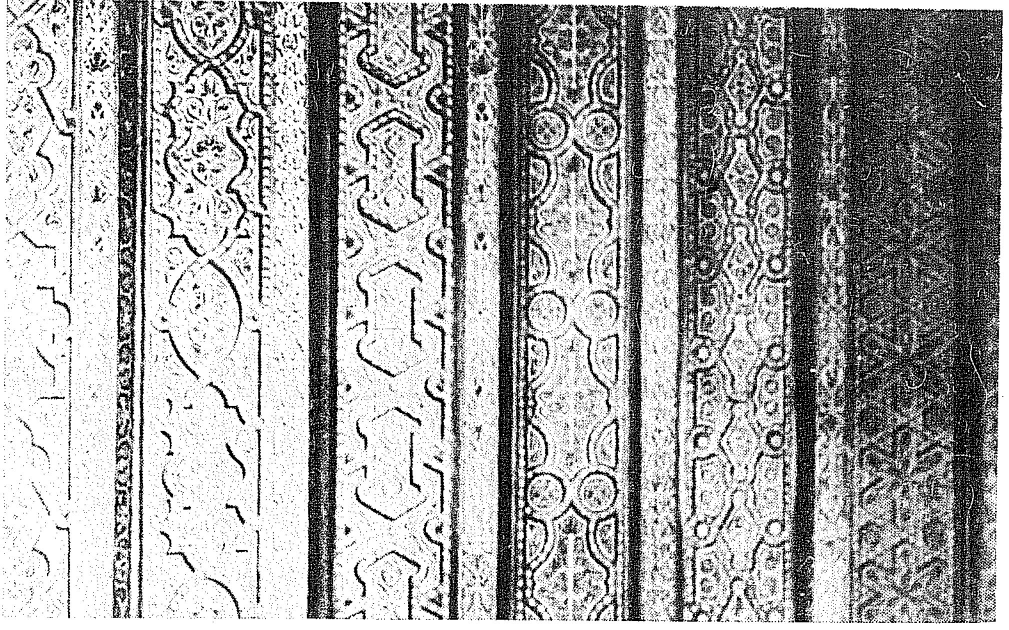
« فأكرم بها من مساع تسوق الى جنة الخلد ، وتهون فى السعى اليها الطوارف والتلد ، تعظيما لشعائر الله ، وتنبيها لكل ساه ولاه ، حكمة تشهد لله بالربوبية وطاعة تذل بها كل نفس أبية » (٢٤) .

وهكذا ينتهى هذا الوصف الرائق لاحتفال ليلة القدر المباركة بالجامع الأعظم ، وهى عبارات صادقة ، رائعة التصوير ، تناولت النظر والحس والمواطف المرهفة لقصاد الساحة المقدسة فى ليلة عزيزة على أهل الايمان عمرها الناس بالضراعة ، ومهد لها أصحاب الخدمة بالمسجد بما يشع عليها من جو الحفاوة والضياء .

ولا عجب أن يروى ، أن عدد ثرياته بين كبير وصغير كانت تقرب الثلاثمائة هذا غير صفار كؤوس الزيت فى مصابيحها ، كانت تسقى زيتا بالارباع (٢٥)،فى رمضان وحده مائتين وخمسين ، ومثل ذلك بقية ليالى السنة ، هذا غير الشمع الكبير الذى كان وزنه فى رمضان وحده ثلاثة قناطير ، وثلاثة أرباع القنطار من الكتان والقطن فتيلا للشمع المذكور .

وكان وزن الشمعة الكبيرة التى توضع بجوار الامام بين خمسين وستين رطلا ، بينما يقوم على الخدمة فى المسجد ، ويتصرف فيه من أئمة ومقرئين وأمناء ومؤذنين وسدنة ووقادين ، قريب من مائة وستين فردا ، يحرقون فى الليلة الختامية وحدها أربع أواق من العنبر الأشهب ، وثمانى أواق من العود الرطب (٢٦) .

وتمر الايام وما يزال الصرح شامخا ، يزوره السواح الغربيون بين مبهور وحاقد ، ويؤمه زواره من المسلمين حزانى ، يهرعون الى السجود فى رواق محرابه ، على بلاط الرخام الذي قد عرى عن فرشه ، يؤدون حق



بعض زخارف السقف فى المسجد القرطبى الاعظم .

المسجد من تحية ، ويخرجون من رحابه وقد تركوا قلوبهم وأكبادهم أسيرة الأسير فى أرض المنفى .

لقد شاهدت عيناى هذا الصرح ، وشاهدت عبر الشرق والغرب مساجد فارهة ، ولكنى لم اشاهد فنا مثل ما رأيت فيه ، أصيلا وقورا ، وجوا خاشعا وعمارة شامخة ، وهندسة رائعة رفيعة ، حسب فيه حساب الضوء والظل ، وارتفاع السقف وخشوع الساجد ، فى تكامل رهيب ، امتص ما أقيم فيه بعد الأسر من صلوات مسيحية وكنائس ، تتضاءل فى رحابه الواسع ، حتى لا تكاد تبين .

فسلام على المسجد الجامع الاعظم ، وسلام على رمضان وليلة القدر ؟

---

(١) فتحت قرطبة سنة ٩٤ هـ مع الفتح الاعظم وسقطت فى يد القشتاليين سنة ٦٣٦ هـ .

(٢) هذا من كلام الفقيه ابن الولبنى ، اما المؤرخ المقرى — الذى يكتب بعد نكبتها — فيقول — ردها الله — .

(٣) كما تجلى العروس فى ثوب الزفاف .

(٤) الشرفات فى المساجد ما يكون من زخارف هجرية على اطراف الجدران الخارجية ، معانقة السماء باطرافها الممتدة ، والاشر ما يرى فى اسنان الصفار كمثل شرشرة المناشير .

(٥) النهار هو الضوء الشديد داخل المسجد والليل خارجه .

(٦) ضوء الفتيل المشتعل كحركة السنة الحياة فى افواهها .

(٧) السليط زيت الاضاءة فى الكؤوس .

(٨) العلاقات فى رؤوس المصابيح .

(٩) كرات النحاس الاصفر تجمع اطراف السلاسل .

(١٠) نظرت اليها بطول أروقة المسجد .

(١١) تعلق القرط فى طرف الأذن .

(١٢) مثل بسط الجلد حين يشق .

(١٣) صورة تشكيلية زخرفية من ترتيب الشموع والوانها المختلفة على جوانب المنارة .

(١٤) رائحته الفواحة تملأ الخياشيم .

(١٥) الالنجوج والند نوعان من البخار ، والقتار بضم القاف ريحه المختلط بدخان احتراقه

(١٦) المجامر المباخر وكعوب المقامر فصوص النزد .

(١٧) وصف القباب من الداخل والخارج ، مستديرة كالأهلة من داخلها محددة التحديد من الخارج .

(١٨) هذا وصف فسيفساء القبة وفصوصها ذات الألوان الرائعة .

(١٩) هذا أصدق وصف لفسيفساء المحراب والوانها وزخارفها التى جلبت خصيصا من بيزنطة أيام الحكم المستنصر ، والقرطق الثوب القصير ، وفسيفساء المحراب تقف فى وشمها عند خواصر العقد .

(٢٠) بيت الظبى وذلك كناية عن ضيق المكان بمن فيه .

(٢١) أقليدس عالم الهندسة اليونانى ، والبياذق والفرازين من ادوات الشطرنج .

(٢٢) أبو جهم بن حنيفة صحابى قرشى كان مهابا فى قومه .

(٢٣) عمير بن ضابىء حاول أن يحصب الحجاج لما طال سكوته على المنبر .

(٢٤) نفح انطيب للمقرى ج ٥ دار المامون ص ٢١ — ٣١ .

(٢٥) نوع من المكاييل .

(٢٦) المرجع السابق .

مدرسة الاحسان

للأستاذ عبد الله كنون

قيل إن العرب لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة ، سموها بالازمنة التى وقعت فيها ، فوافق شهر رمضان أيام رمض الحر ، فسمى بذلك .

وسواء صح هذا ام لم يصح ، ومعنى المادة التى اشتق منها ذلك الاسم يصححه ، فان الاسلام قد جعل لهذا الشهر رمض حر معنوى لا يفارقه مدى السنين ، ولو جاء في اشد الاوقات بردا وقرا ، وذلك هو الصيام الذى افترضه الله على المؤمنين وجعلهم يرتمضون فيه بحر الجوع ليذوقوا مما يذوقه الفقراء والمساكين فى كل شهر ، لا فى شهر رمضان فقط فيواسوهم ويحسنوا اليهم فى شهر رمضان وفى كل شهر آخر ، لأن الاحساس بالجوع غير وصفه ، والشعور بالخصاصة غير الخبر عنها .

وقد يكتب الكتاب ويعظ الواعظون في الحض على المواساة والاحسان الى الفقراء والمساكين ولكنهم لن يبلغوا من النفس البشرية ما يبلغ منها صيام يوم واحد وتجويعها على النحو الذى أمر به الشارع فى شهر رمضان للرياضة والتربية ، لا للتطبيب والاستجمام .

والصيام وان كانت له فوائد صحية لا تنكر ، ويصح ان يكون الشارع قصدها فيما قصد اليه من فرض هذا الركن العظيم من اركان الاسلام ، ولكن مسألة الاحسان هى منه فى الطليعة وربما كانت هى المرادة منه بالقصد وبالذات ، الا ترى الى ما روى فى الصحيح من انه صلى الله عليه وسلم ، كان اجود الناس ، وأجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل فيذاكره بالقرآن ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

وكيف لا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم اجود الناس وهو الذى بعث ليتمم مكارم الاخلاق ؟ وكيف لا يكون افضل اكوانه بالنسبة الى الجود في رمضان ، وقد اجتمعت فيه ثلاث دواع كل واحد منها كاف لمضاعفة أثر ذلك الخلق الكريم ، وهى الصيام ، ولقاء جبريل ، ومذاكرة القرآن ؟

فالصيام عامل طبيعى لاثارة عاطفة الاحسان بسبب ما يشعر به الصائم من الحرمان الذى يعيش فيه الفقراء دائما ، ويستوى فيه الرسول وغيره الا أن اثره فيه (صلى الله عليه وسلم) أعظم من غيره . ولقاء جبريل هو صلة مباشرة بالملأ الاعلى يصفو معها جوهر النفس وتسمو معنوياتها الى ابعد حد ممكن لبشر . ومذاكرة القرآن ، وهو معدن الاسرار والانوار ،

لا تأتى الا بأعظم النتائج فى باب التخلق لعموم الناس فأحرى الرسول الكريم .

وعلى كل حال فالغاية من الجميع هى الجود ، وذلك ما يجعل من رمضان مدرسة احسان ، يتخرج فيها ملايين المحسنين كل عام ، من الصائمين الذين يكونون على قدم الرسول صلى الله عيه وسلم فى الاتصاف بالجود ايام السنة كلها وفى أيام رمضان أكثر .

ومما يدل على أن فرض الصيام حكمته معالجة آلام الحرمان بالفعل ، لتربية عاطفة الاحسان فى الانسان ، ما روى فى الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال « بينما رجل يمشى بطريق ، اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى . فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له » .

فهذا الحديث يرشد الى أن الحرمان يولد العطف والعطف يبعث على الاحسان ، فما شعر بما يجده المحروم من ألم نفسى وبدنى الا من حرم مثله من لذاته ومشتهياته ، واذ ذاك ترق عاطفته ويسخو بما لم يكن يسخو به من قبل هذا التمرين .

ولو لم يوخذ هذا الرجل بتجربة العطش الشديد الذى حمله على النزول فى البئر ، لما رق قلبه لذلك الكلب ولو رآه مندلع اللسان من العطش ، فكذلك يكون الذى عانى الصيام شهرا فى كل عام ، اذا رأى جائعا أو عطشان أو محروما من ضرورية من ضروريات العيش على العموم

ولعل هذا هو ما يفسر قوة عاطفة الاحسان الفردى عند المسلمين برغم تخلفهم فى ميادين الاحسان العام لضعف تربيتهم الاجتماعية والسياسية .

على أن هذا المعنى الذى ذكرنا انه المقصود الاهم من الصيام وهو تنمية عاطفة الاحسان ، قد وقع التصريح به فى حديث سلمان رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان فقال « يايها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، فيه ليلة خير من الف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، وهو شهر الصبر وشهر المواساة ، من أفطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار » . رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

ولا معنى لكونه شهر المواساة الا هذا بدليل ما بعده من الحض على تفطير الصائم الذى لا يجد ما يفطر عليه ، وناهيك أن كتاب الله العزيز لما عذر العاجز مطلقا عن الصيام لم يجعل له مندوحة من اطعام المساكين .

وتختم هذه الدروس التى تدوم شهرا كاملا بامتحان جعله الشارع علامة النجاح فى هذه المدرسة الاحسانية العظيمة ، وهو زكاة الفطر التى ورد فى الصحيح انها طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وروى انه صلى الله عليه وسلم قال « صوم رمضان معلق بين السماء والارض لا يرفع الا بزكاة الفطر » .

فختمت دروس الاحسان بامتحان عملى فى الاحسان ، مما لا يبقى معه شك فى أن رمضان ما هو الا مدرسة للاحسان .

ان الصيام مواساة واحسان — قضى بذلك قرآن وبرهان

نعم الصيام مع المعروف تبذله — وليس فيه مع الحرمان حرمان



للأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي

فى القرآن منهج تربوى فريد ، وفيه مبادىء تربوية فريدة . وبينهما فارق كبير .

أما المنهج التربوى فهو الطريق الذى سلكه القرآن بالمسلم الى اتباع مبادئه والتمسك بأحكامه .

وأما المبادىء التربوية فهى تلك الأحكام والنظم والقيم التى أرساها ودعا اليها ، كأحكام الحلال والحرام وقيمة الصدق والجهاد والاخلاص .

وعندما نقول (المنهج التربوى) فانما نعنى الأسلوب والطريقــة

ومظاهر الافتنان فيهما ، ولا نعنى هذه الأحكام والقيم بحال .
واذا تبين لنا الفرق ، فلنتساءل عن أسس المنهج القرآنى ومظاهر الابداع فيه .

المحاكمة العقليـــة

يقوم المنهج التربوى فى القـــرآن على ثلاثة أسس :
المحاكمة العقلية ، القصص والتاريخ ، الاثارة الوجدانية .
فأما المحاكمة العقلية ، فقد درج بها القرآن فى الجوانب الثلاثـــة التاليـــة :

الجانب الأول : تعريف الانسان بذاته قبل كل شىء . فقد بدأ خطابه للناس بالحديث عن الانسان وأصنافه وأصـــله وجوهره وكيفية نشأتـــه وتكاثره ، تقرأ ذلك فى بدء سورة البقرة التى هى أولى مراحل التنزيـــل الالهى للناس .

ولهذه البداءة التمهيدية أهمية تربوية كبرى ، ذلك لأن جميع المعارف التى يكتسبها الانسان انما هى فرع لمعرفة سابقة ، هى معرفته لذاته ، وبدون أن تتوفر هذه المعرفة الأولى لا يحرز الانسان أى ميزان سليـــم للمعارف الفرعية الأخرى . فلولا ايمانك بالعقل ووظيفته ما آمنت بشىء من مقولاته وأحكامه . ولولا معرفتك لتركيبك النفسانى والجسمانى لما عرفت شيئا من حقائق الكون التى تطوف من حولك ولما أدركت أى علاقة بينك وبينه . وبمقدار ما تكون معرفتك لذاتك دقيقة وسليمة فان معرفتك لحقائق الكون ووظائفه تكون دقيقة وسليمة . والعكس صحيح .

وهكذا ، فان الذى لم يتوفر بعد على معرفة ذاته وحدود أمكاناته ، لا يمكنه أن يتوفر على معرفة ألوهية اللــــه له ولا على قصة هذا الكون ومجراه ونهايته . وما جحد الجاحدون بالله ولا أقاموا لأنفسهم عـــرش الربوبية فى الأرض ، الا لأن أعينهم ظلت تزيغ فيما حولهم دون أن تصحـــو لحظة واحدة للتأمل والنظر فى أنفسهم .

فمن أجل هذه الحقيقة ومدى أهميتها ، يبدأ القرآن فى محاكمتـــه العقلية للمنكرين بلفت أنظارهم الى أنفسهم والى قصة وجودهم ، حتى اذا استرعى أذهانهم ذلك ، أخذ يحدثهم عن وجود الله ووحدانيته وعبوديـــة الانسان له .

تأمل هذه الآية : « يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى .. » الآية .. وتأمل كيف يأتى التقرير من بعدها عن البعث والنشور والحساب .

وانظر الى قوله تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من مـــاء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب » وتأمل كيف بنى على ذلك تصوير يوم الجزاء ، وأكد صدق ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من وعـــد ووعيد .

ثانيــا : اختيار أسلوب صالح لجميع الناس على اختلاف ثقافـــاتهم وبيئاتهم وأزمانهم . فليس من سبيل لشد الناس الى المبدأ المطلوب ، طالما

كان أسلوب الدعوة صالحا لفئة منهم دون أخرى .

وانها لأشق شريطة من شرائط المنهج التربوى الذى يراد سلوكه مع جمهرة مختلطة من الناس . ولذلك فقد تمثل فى هذه الظاهرة أعظم مظهر من مظاهر اعجاز القرآن . اذ جاءت صياغة هذا الكتاب العجيب على قدر الطاقة الادراكية لدى طائفة منهم دون أن يتسبب عن ذلك أى خلل فى الأفهام ولا أى تضارب بين المفاهيم .

انظر الى قوله تعالى ، وهو يلفت أنظار الناس الى روعة الابداع الالهى فى خلق الكون : « ألم نجعل الأرض كفاتا ، أحياء وأمواتا . . » وتأمل فى لفظة (كفاتا) التى هى بمعنى الجذب والضم ، وعليه قول الشاعر :

كرام حين تنكفت الأفاعى الى أجحارهن من الصقيع

لقد جاء وصف الأرض بهذه الكلمة على قدر ما يمكن أن يفهمه الأعرابى فى البادية ، فقد أدرك منها أن الارض له كالوعاء يحفظ ما فيه ويحرسه ، وهو ادراك صحيح . ثم جاء هذا الوصف ذاته على قدر فهم المختصين والمتعمقين فى دراسات الأرض والأفلاك . حتى فهم من ذلك ثابت بن قرة (٢٢١ — ٢٨٨) أن الانسان انما يستقر على الأرض بقوة خفية تجذبه اليها ، والا لما أمكنه الاستقرار من فوقها ، وهى نفس القوة التى تسمى اليوم بالجاذبية . وليس من كلمة تستوعب سلم هذه المعانى التى تبدأ بفهم الأعرابى فى البادية ، وتنتهى بما يفهمه علماء هذا العصر ، كما تستوعبه كلمة (كفاتا) !! . .

ومن أجل هذه الحكمة التربوية ، جاءت الصياغة القرآنية ، فيما يتعلق بالمعلومات الكونية ، بعيدة عن التعبيرات العلمية الضيقة ، اذ لولا ذلك لكان خطاب القرآن غير صالح الا لفئة قليلة من الناس .

ومن اجل هذه الحكمة أيضا جاءت الصياغة القرآنية فى هذه الأبحاث ذاتها ، مثيرة للنظر والبحث أكثر من أن تلزم الناس أن يؤمنوا باخبارات معينة عنها . اذ لو قامت صياغتها على هذا الالزام ، لكان مقتضاه وجوب التصديق بهذه — القضايا العلمية طبقا لما أخبر به القرآن ، دون أن يعملوا فى سبيل ذلك وسائل التجربة والمشاهدة ، التى هى الوسائل الطبيعية الأصيلة للوصول الى حقائق علمية عن الكون .

ومن أعظم الأخطاء التربوية أن يكون أمام تلميذك سبيل طبيعى مباشر الى لمس الحقيقة العلمية بجهده وسعيه ، ثم تثنيه عنها بما تفرض عليه من الفهم والعلم ، من مركز السيطرة والاجبار .

ثالثا : الاعتماد على المناقشة والحوار ، وللقرآن فى ذلك أسلوب رائع عجيب ، فهو اذ يناقش ويحاور ، يثير النظر الى الأدلة ويعرض لها ، دون أى نص على نتائجها ، بل يترك الربط والاستنتاج للسامع المتأمل .

وتلك هى فائدة الأسلوب الحوارى القائم على النظر والنقاش ، انه أسلوب تمرينى تربوى أكثر من أن يكون أسلوب خصومة وشقاق . وعندما يكون النقاش والحوار لهذا الغرض فان تصريح المناقش المربى بنتائج الأدلة وثمراتها (أثناء النقاش) يذهب بجدوى عمله التربوى كله .

انظر الى هذه الآيات التى جاءت فى أواخر سورة النمل : « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة

ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون .. » .

انه أسلوب حوارى كما ترى ، يقوم على اثارة الأسئلة المنبهة للعقل والمحركة للفكر ، ولا تجد أى جواب صريح على سؤال منها ، وانما تجد بدلا من الجواب لفت النظر الى حيث يمكن للفكر أن يدرك الجواب الصحيح ويتنبه له .

إنه يسأل .. ويلح فى السؤال وطلب الجواب .. ولكنه سرعان ما يضرب عن السؤال والجواب معا ليلفت النظر الى أساس المشكلة فى الأمر .. انهم يعدلون بالله غيره سلفا ، وإنهم لا يريدون أن يعلموا شيئا عن حقائق الكون وما فيه من طوايا الأدلة الرهيبة على وجود الله ووحدانيته وانهم لا يريدون أن يتذكروا نشأتهم الأولى وتدرجهم فى الخلق . ولو أنهم تذكروا .. وعلموا .. وانصفوا .. لعلموا الجواب على كل هذه الأسئلة ، ولأقروا به مؤمنين صاغرين .

تجد هذا المعنى بارزا بوضوح فى آخر كل آيات هذا الحوار : بل هم قوم يعدلون .. بل أكثرهم لا يعلمون .. قليلا ما تذكرون ..

وانظر أيضا الى قوله تعالى ، وهو يناقش الكافرين : ((أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين . أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)) ..

لقد عرض فى هذه الآيات وما يليها الى الاحتمالات المتصورة فى سبب جحود الكافرين ، فرد كلا منها ، بأسلوب فريد .. !! لم ينف الاحتمالات بعبارات سلبية جازمة ، فمثل هذا النفى لا يفيد المخاصم أكثر من أن يزيده صلابة وعنادا ، ولكنه ناقشها بما يكشف عن زيفها ، وترك التصريح بالزيف لعقل السامع وفكره . إن الاحتمال الأول ، هو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم متقولا على الله هذا القرآن ، واذا فليتقولوا هم أيضا على الله مثله . فاذا فعلوا ذلك أمكن لدعواهم أن تكون صحيحة . والاحتمال الثانى أن يكونوا عند أنفسهم مخلوقين بغير خالق . واثارة هذا الاحتمال بهذا الأسلوب القرآنى تلفت النظر بطريقة مشفقة ساخرة الى ما يوجد فى تضاعيفه من دعوى رجحان الشىء بدون مرجح ، وهو من أبرز صور المحالات التى يجمع كافة العقلاء على امتناعها .

والاحتمال الثالث أن يكونوا — فى وهم تصوراتهم — هم الذين تولوا إيجاد أنفسهم . واثارة هذا الاحتمال ، بالأسلوب القرآنى الذى تراه ، تلفت النظر بطريقة ساخرة أيضا ، الى ما يوجد فى تضاعيفه ، من دعوى صحة الدور الذى هو أيضا من ابرز صور المحالات عند جميع العقلاء .

فانظر كيف حاكم الأسلوب الحوارى فى القرآن جماعة الكافرين الى قانون بطلان الدور وبطلان الرجحان بدون مرجح ، ليسقط بذلك دعواهم .! فعل ذلك كله بدون أن يسلك بهم أى مسلك تعليمى أو أن يلقنهم علم أى مجهول أو يلزمهم بأي قرار ونتيجة . وانما أثار أفكارهم الى موازين المنطق والعلم ، وتركهم بين ذلك كله ، وقد لبسوا زى الجهل أو التجاهل والتعامى عن الحق .

والحديث فى تطبيقات الأسلوب التربوى ، فى نقاش القرآن وحواره يطول . وأنه لحديث شائق مفيد . وليس ههنا مجال بسطه وتفصيله . ولكنى ألفت نظر المهتمين بالتربية ومذاهبها الى هذا الجانب ، وأدعوهم الى دراسته دراسة واعية مسهبة ، فلسوف يعثرون على ما هم بأمس الحاجة الى معرفته والتبصر به من الطرائق التربوية الحديثة المفيدة .

القصص والتاريخ

وللقصص والأبحاث التاريخية أهمية كبرى . ولكن الشأن ليس فى ايراد القصة كيفما اتفق ، وانما الشأن فى معرفة الطريقة التربوية التى يجب أن يتم نسيج القصة على أساسها .

للقرآن منهج رائع عظيم فى ذلك يمكن أن يلخص فيما يلى :

أولا : لا يسوق القرآن من القصة الا ما يتعلق به الغرض الذى سيقت من أجله ، كى تظل الصلة متينة بين القصة والمناسبة الداعية اليها ، بحيث تبعث فيها الأهمية وتمدها بالحياة . من أجل هذا لا تكاد تجد القرآن يسرد حوادث القصة سردا تاريخيا تبعا لسلسلة الوقائع والأحداث ، اذ من شأن ذلك أن تبتعد القصة بالقارىء عن المناسبة والغرض الأصلى اللذين ذكرت بصددهما .

تقرأ مثلا فى قصة أصحاب الكهف قوله تعالى : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا إذا شططا » . .

فأنت ترى أنه بدأ فوصف أصحاب الكهف بأنهم فتية انفردوا عن قومهم الكافرين بالايمان بالله وحده ، وأنهم من أجل ذلك عزموا على أن يعتزلوهم فى شواهق الجبال وبطون الكهوف . فمن هم هؤلاء القوم ؟ وفى أى بلدة كانوا يعيشون ، وكم كان عدد هؤلاء الفتية ؟ وما هى أسماؤهم ؟

لقد كان مقتضى السرد التاريخى أن تجيب القصة عن هذه الأسئلة كلها ، ولكنها لو سارت على هذا المنوال لما وفت بالغرض الدينى الذى استهدفته ، ولا نصرف فكر القارىء الى تتبع أحداث تاريخية شائقة يود أن يعرفها ، ولغفل بذلك عن العبرة والعظة اللتين سيقت القصة من أجلهما .

وهذا هو سر الاقتضاب الذى نجده فى أكثر قصص القرآن ، وهو سر يمكن أن يتنبه اليه الانسان من خلال شعوره بالرغبة فى أن تكون القصة القرآنية غنية بمزيد من التفصيل ، اذ هو لا يرغب فى ذلك الا بدافع مما يتصف به الانسان عادة من فضول الفكر وحب الاستطلاع . ولو استجيبت رغبته لند فكره عما قد وضعه القرآن فى سبيله من الانضباط مع خط الهداية والدعوة اليها (1) .

ثانيا : اقحام النصائح والعظات فى ثنايا القصة .

ويهدف المنهج التربوى من ذلك الى أن لا يندمج القارىء مع القصة وينصرف اليها بكل تفكيره ، فيطول به العهد وينسى المساق الأصلى للقصة . وتلك هى آفة الاستعانة بالقصة فى التربية والتهذيب ، واذا تغلب المربى

عليها فأتخذ منها أسلوبا لايقصى السامع خلال مختلف مراحلها عن المحور التربوى الذى ينطلق منه ، كانت القصة اذ ذاك أعظم وسيلة تربوية ناجعة وذلك هو منهج القرآن .

يقص الله علينا فى سورة طه خبر موسى وفرعون . حتى اذا تشعبت أحداث القصة وكاد السامع أن يغفل عن مساق القصة وعبرتها بواقعها وغريب أحداثها ، ظهر — بأسلوب بالغ الروعة — أثناء سياقهـا حديث آخر جديد يتوجه الى السامع بالموعظة والارشاد ، ويشده الى الغرض الكلى الذى عرضت القصة من أجله . حتى اذا حقق هـذا الحديث الطارىء أثره المطلوب فى نفس السامع ، عاد السياق مرة أخرى الى القصـة وأحداثها .

تأمل هذا كله فى قوله تعالى وهو يقص من خبر موسى وفرعون :

« قال فمن ربكما يا موسى . قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الأولى . قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى . الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيهـا سبلا وأنزل لكم من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى . ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى .. » .

فانظر كيف توقف سير القصة ، ليظهر من ورائها — فى لباقة ولطف — حديث آخر يتحول فيه الخطاب مما بين موسى وفرعون الى ما بين اللـه وعباده ، متضمنا الامتنان بالنعم والتحذير من النقم والتنبيه الى بالغ سطوة الله وعظيم جبروته .. حتى اذا اصطبغت القصة بهذا الجو الارشادى واستعاد بذلك السامع أو القارىء انتباهه الى الغرض الكلى الذى من أجله نزل القرآن — عادت القصة الى مسارها ، بدءا من قوله : « ولقـد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » .

وتأمل هذا المنهج التربوى أيضا فى عرض قصة أصحاب الكهف ، وانظر كيف ينتهز الأسلوب التربوى المعجز ظهور أول نافذة فى احداثهـا يمكن ان تتسلل اليها موعظة عـابرة مذكرة توقـظ النفس من ذهـول ، فيقحم فيها هذه العظـة بأسلوب رائع بليغ ، وسرعان ما يعود بها مرة أخرى فيربطها بمجرى القصة وأحداثها :

« سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسـة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قـل ربى أعلم بعدتهم مـا يعلمهم بالغيب فلا تمـار فيهم الا مراء ظاهرا ، ولا تستفت فيهم منهم أحدا . ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا . الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا . ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا)) ..

• • • • • • • •

ثم ان هذا المنهج ليس خاصا بالقصة وحدها ، بل هو مطرد مع سائر المواضيع التى يعالجها القرآن ، لا يدع القارىء يستغرق مع أى موضوع من المواضيع سواء كان أحكاما أو عقيدة أو أخبارا عن المغيبات

وتصويرا لأحداث القيامة ، بل يصبغ هذه الأبحاث كلها بصبغة التوجيه والارشاد ، ويجعل المحور الأساسى الذى تنزل القرآن من أجلـه بارزا مسيطرا خلال سائر المواضيع والأبحاث ، حتى لا يشت الذهن عنه خلال المسائل والأبحاث المختلفة .

انظر الى قوله تعالى وهو يقرر لنا أحكام صوم رمضان : « .. فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيـام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريـد بكم العسر ولتكملوا العـدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون . أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ..)) الآية .

فأنت ترى كيف أقحم الله بين آيات الصوم وأحكامه ، هذه الآية التى شدت أذهان الناس الى جوهر العبودية لله والى الأصل الكلى الذى تفرعت عنه هذه الأحكام الجزئية الكثيرة .

والعجيب حقا أن تجد بعض الباحثين المثقفين ، وقد تاهوا عن هذا المنهج التربوى الذى ما ينبغى أن يغيب عمن كانت له أدنى مشاركة فى شئون الثقافة والتربية ، ثم راحوا ينقدون القرآن من أعظم جانب تربوى فيه ، وأخذوا يتساءلون : لماذا جاءت أبحاث القرآن متداخلة ولم تأت منظمة فى فصول وأبواب كبقية الكتب والمؤلفات ؟ ! ..

فأين كان يبقى أثره التربوى الذى نتحدث عنه لو أنه نظم كما يشاءون فجاء فيه باب فى العقائد وأدلتها ، وباب فى الأحكام والمعاملات ، وباب فى القصص والتاريخ ، وهكذا ؟ !

ان الذى يقبل منه على باب الأحكام ينسى من القرآن وأهدافه كل شىء الا المباحث القانونية الجافة التى يحاول أن يستوعبها ، كما يكون من شأن الفقهاء الذين يتدارسون بابا فى الرهن مثلا ، لا يكـاد أحدهم يذكر الله أو يذكر الغرض من هذا الفقه وأحكامه . وربما كانوا — وهم الفقهاء — أبعد عن الله تلك الساعة من ذلك العامى الذى يذكر الله خاليا ضمن دكانه ومتجره .

والذى يقبل منه على باب القصص والتاريخ ، ينسى القرآن وينسى نفسه ومسؤولياتها ، فى خضم ما يقرؤه أو يسمعه من الأحداث الغريبة التى يستعرضها .

والقرآن فى قصصه وأحكامه وعقائده وبقية أبحاثه ، انما أنزل لأمر كلى واحد ، هو أن يكون الناس عبيدا للـه بالطوع والاختيار ، كما قد خلقهم عبيدا له بالقسر والاجبار .

فكان سبيل تحقيق ذلك يقضى ، لا جرم ، بصبغ مسائله ومواضيعه كلها بصبغة هذا الأمر الكلى ، وانما يكـون ذلك بتداخل مسائله طبقا لهذا المنهج التربوى الدقيق .

الاثـارة الوجدانيـة :

ولكم تمنيت أن يأتى الحديث عن هذا الجانب التربوى الهام فى كتاب الله تعالى ، فى كتاب لا فى جزء من مقال .

انه جانب يستأهل دراسة عميقة واعية مفصلة من أرباب الدراسات التربوية ، ومن المؤسف أن تجد علماء التربية قد وسعوا دراساتهم نحو كل شأو واستنهضوا كل نظرية وفكر حديث ، علهم يعودون من ذلك بفائدة الى اختصاصهم ولكنهم خلال ذلك كله لم يعلموا أى علم عن القرآن وطرائقه التربوية العجيبة !!

ذلك لأنهم لم يتعلموه ، فلم يقرؤوه ، فعاشوا غرباء عنه ! . .

ولنترك هذا الحديث المؤلم المؤسف ، ولنلخص شرح هذا الأساس الثالث ، من أسس المنهج التربوى فى القرآن .

إن منابع العواطف الوجدانية فى الانسان تنحصر فى المنابع الثلاثة التاليـــة :

عواطف دافعة : كالفرح ، والأمل ، والرغبة .

وعواطف رادعة : كالخوف ، والخشية ، والاشفاق .

وعواطف ممجدة : كالاعجاب ، والحب والتقديس .

وما من معنى عاطفى ووجدانى الا ويعود نسبه الى واحد من هـــذه الينابيع الثلاثة . وهى وحدها عمدة المربى عندما يعتمد عـــلى الاثارة الوجدانية .

وليس فى اعتماد المربى على العنصر العاطفى كبير اهمية أو خطورة، وانما تكمن الاهمية كلها فى القدرة على تكوين مزيج متكافىء معتـــدل من هذه العناصر الثلاثة التى هى ينابيع العواطف كلها . ذلك أن أحد هذه العناصر اذا استقل بالتأثير أو كانت له الغلبة على سواه أصبح مصـــدر سوء وسبب هلاك ولم يبق فيه للأهداف التربوية أى جدوى .

فسوق المربى لتلميذه بعصى الرهبة وحدها سبب واضح لهلاكه . ودفعه بعامل الفرح والرغبة وحدهما سبب خطير لافساده . وملء احساسه بمشاعر التقديس والاعجاب وحدهما لا يحرك فيه ساكنا ولا يغير منـــه أعوجاجا . وانما يصلح سبيل التربية اذا نهض على مزيج معتدل من هذه المشاعر الثلاثة كلها . وما فسدت المعالجات التربوية وتخلفت عن أعطاء ثمارها المرجوة الا لفقد هذا المزيج المعتدل .

وكتاب الله تعالى يجذب افئدة الناس بقوة وجدانية (الى جـــانب المحاكمة العقلية) مكونة من هذه العواطف الثلاث فى اعتدال وتكافؤ .

فأنت لا تجد فيه آية تسلم الانسان الى رهبة مجردة ، أو تمنيـــه ببشارة صافية عن شائبة الخوف . بل إن من قواعد القرآن الكلية أنه لا يذكر الانسان ببعض صفات الجبروت والانتقام لله تعالى الا ويذكره الى جانبها بصفات الرحمة والغفران ، ولا يتحدث عن الجنة وما فيها من نعم الا ويتحدث الى جانبها عن جهنم وما فيها من مظاهر التعذيب . ومهما بحثت فى آيات القرآن فلن تقف على نص يتضمن وصف احدى هاتين الدارين الا والى جانبه وصف مقابل للدار الأخرى .

انظر الى قوله تعالى : « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم » بل انظر الى قوله عز وجل : « قل يا عبـــادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم)) والى جانبه تماما قوله : ((وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون)) .

وفائدة ذلك أن يبقى الانسان بين جاذبى الرغبة والرهبة دون أن يطغى أحدهما على الآخر . وفى ظل هـذا التجاذب ينشط للسعى الى مرضاة الله وتنفيذ أوامره وأحكامه ، ويتحقق فيه معنى العبودية التى لا تتكامل الا بشعورين من الرغبة والرهبة معا .

وتحقيقا لهذا المنهج نفسه فانك لتلاحظ بشكل مطرد أن القـرآن كلما وصف أهل الجنة وصفهم بأرقى أعمالهم واجل صفاتهم ، وكلما وصف أهل النار وصفهم بأسوا اعمالهم وأشدها اثارة لغضب الله عليهم . فاذا تأملت صفات المؤمنين وعرضتها على حالك رأيت نفسك دون ذلـك فتقاصر بك الأمل فى اللحاق بهم ، واذا تأملت صفات أهل النار وعرضتها عـلى حالك رأيت نفسك فوقها فراودك الأمل أن لا تكون منهم وتبقى — فـى تقديرك — فى حالة بين أولئك وهؤلاء ، تشدك رغبـة وتخيفك رهبة ، فتجهد أن تعلو عن حال الكافرين وتسعى للحاق بحال المؤمنين .

وانظر هذا المعنى التربوى الرائع فى مثل قوله تعالى وهـو يصف أهل النار : « ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نـك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيـوم الدين . حتى أتانا اليقين)) إنك اذا قرأت أوصافهم هذه حمدت الله تعالى أنك لست منهم ، ولكن انظر الى قوله تعالى وهو يصف أهل الجنة : « انـهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالاسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » انك اذا رأيت صفاتهم هذه وجدت نفسك دونهم .

وهكذا يضعك بيان الله تعالى ومنهجه التربوى بين الخوف من عذابه والرجاء فى رحمته وثوابه ، حتى لا ترهب من عذابه رهبة توقعك فى اليأس ، ولا ترغب فى رحمته رغبة توكلك الى الدعة وتتمنى فيها على الله ما ليس لك .

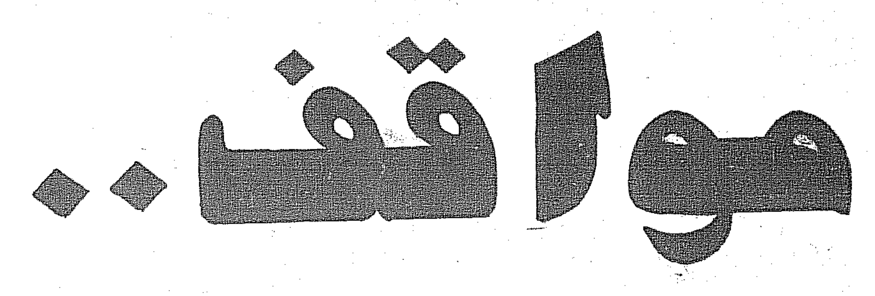
وقد علمنا الله تعالى بصريح بيانه أن نكون على هذه الحالة من الخوف والرجاء ، فلا نعبد الله تعالى على حرف منهما ، ولا نتمثل من صفاته ما يدل على الشدة وحدها ولا ما يدل على الرخاء وحده ، فهو يقول فى وصف عباده الصالحين : ((وكانوا يدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)) ويقول فى وصفهم أيضا ((تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ..)) .

• • • •   • • • •

هذا عرض ملخص موجز للمنهج التربوى فى كتاب الله تعالى ، واذا وفق الله ويسر عدت اليه بمزيد من الشرح والتفصيل وأخرجته فى كتاب يفى ببعض أهمية هـذا البحث وخطورته . أسأل الله تعالى أن يحققنا بمنهجه التربوى ويرزقنا حسن التمسك وصدق التأثر بكتابه القويم .

---

(١) هذا لا يعنى أن القصة القرآنية — باقتضابها — لا تعتمد على أى أساس فنى وأدبى بل القصة فى القرآن تقوم على منهج فنى رائع يطول بنا الحديث فى دخلنا فى شرحه وتحليله وارجع اذا اردت تفصيل ذلك الى كتابنا : « من روائع القرآن » ..



إن تاريخ أية أمة من الامم يضم فى ثناياه تقييمه العادل من خلال ما يقدمه من (مواقف) لخدمة الانسان وقضيته فى الارض .. إن ظروف الزمان والمكان ، ومواصفات البيئة والطبيعة ، تفعل فعلها فى توجيه التاريخ ، لكن صياغته النهائية وتخطيطه يبقيان أبدا بيد الانسان ، وينتظران دوما (أوامر) الارادة الانسانية لكى يلبيا ويخضعا .. ومن خلال (الموقف) الذى يتخذه الانسان فى لحظات التساؤل والاختيار والوقوف عند مفارق الطرق ، يأخذ الحدث التاريخى ، أو الواقعة التاريخية مجراها ومسارها . وكلما كانت تلك (المواقف) أكثر استشرافا وشمولا وتحررا من الضغوط المباشرة ، وأثقال الواقع ، وجزئياته الصلبة المغلقة ، كلما جاءت الحركة التاريخية بمثابة خطوات صوب الامام ، تبارك الانسان وتسعده وتزكيه وترفعه صعدا عن عالم النمل والنحل والحيوان .. !!

ولسنا هنا بصدد دراسة أبعاد (الموقف) الانسانى وعلاقته (بالحدث) التاريخى .. لكنا نريد فقط تسليط الاضواء على مواقف بعض قادة الفكر فى تاريخنا ورواده .. من قضية شرف الانسان وحريته وسعادته ، ورفع كرامة (الفكر) البشرى الى المصاف العليا التى لا ينزله من عليائها طغيان طاغ ، او غزو غاز او تجبر حاكم أمى لم يقرأ يوما باسم ربه الذى خلق ، ولم يمسك قلم المعرفة لكى يتعلم .. وما أكثر مواقف العلماء فى تاريخنا ، وما أروعها وأشرفها !! الخ ..

والحق يقال ــ مراكز الثقل فى ساحة هذا التاريخ الذى لا يكف عن التمخض والحركة ، ونجوم سمائه الدنيا المعلقة ، تنير للسالكين عبر الظلمات معالم الطريق .. وتتوهج حتى تكاد تذوب بالنور وتحترق بالنار .. ولن يقف أمام عالم اختار ضياء العرفان وقبس من حريق الفؤاد ، أى شىء .. فقط اذا اعتزم أن يقف الوقفة المناسبة فى الوقت المناسب والمكان الملائم ..

الدكتور : عماد الدين خليل

مدرسة القرآن

ان تراجم نصف مليون رجل فى تاريخنا عدد يحسدنا عليه مفكرو الامم الاخرل ، فكيف لو اطلعـوا على موقف واحـد منهم ، دفـاعا عن حق ، وصمودا أمام غزو باطل ، وهتكا لبراقع زيف يريد أصحابه أبدا أن يطمسوا به نقـاء الاشياء ومبررات الوجود الانسانى فى الارض . كيف لو تفحصوا الادوار التى لعبها هؤلاء على مسرح تاريخنا الاسلامى ، والنتائج العظيمة التى جاءوا بها كل فى حقله ، وهى نتائج تتعدى اطر الزمان والمكان ، صوب القيم الخالدة ، وتجاه موضع الانسان الذى كرمه الله على الارض واستعمره فيها ..

إن أبا عبد الله محمد بن غانم الأصبهانى ، الذى قدم بغداد فى العقود الاولى من القرن السابع الهجرى ، شابا فى عـز الشباب ، وأسهم فى ميدان التفسير اسهاما عميقا ، يقف مناديا (المحبين) من أمته ، فى عصر كان فى أمس الحاجة الى نداء يهز وجدان النـاس ويحركهم صوب الاهداف التى راحت تتأرجح أمام وقع سـنابك الخيول التترية ، صوت يبعثهم من جديد ويقودهم الى التخوم ، دفاعا عن مصير الامة وحماية لشرفها الحضارى .. إن أبا عبد الله يريد ان يقول لهم : أن يحبوا الله وأن يذوبوا شوقا وغراما .. إنه يريد ان يبين لهم مواقعهم فى الارض وكم هو تافه سخيف الركون الأعمى الى حفنة من تراب يتحرك الانسان عليها ، ويختنق فيها ، ثم ما يلبث أن يأكله دودها وسوسها .. (العالم كالذرة) ـــ يقول أبو عبد الله : الذرة كالعالم فى كتاب حكمتـه ، الأصول فروع إذا تجلى أجمال أوليته ، والفروع أصول اذا طلعت من مغرب نفى الوسائط شمس أخريته . أستار الليل مسدولة ، وشموع الكواكب مشعولة ، وأعين الرقباء عن المشتاقين مشغولة ، وحجاب الحجب عن أبواب الوصل معزولة . ما هذه الوقفة والحبيب قد فتح الباب ؟ ما هذه الفترة والمولى قد خرق حاجب الحجاب ؟

وقوفى بأكناف العقيق عقوق | اذا لم أرد والدمع فيه عقيق
وإذ لم أمت شوقا الى ساكن الحمى | فما أنا فيما أدعيه صدوق !!
أيا ربع ليلى ما المحبوب فى الهوى | سواء ، ولا كل الشراب رحيق
ولا كل من تلقاه يلقاك قلبه | ولا كل من يخطو اليك مشوق
تكاثرت الدعوى على الحب فاستوى | أسير صبابات الهوى ، وطليق !!

ويستمر أبو عبد الله ، واعظا جماهير بغداد : (أيها المؤمنون ، هل فيكم من يصعد الى السماء ، أيها المحبوسون فى مطامير مسمياتهم ، هل فيكم سليم فى الفهم يفهم رموز الوحوش والاطيار ؟ هل فيكم موسوى الشوق يقول بلسان شوقه : (أرنى أنظر اليك فقد طال الانتظار؟) .. ثم ما يلبث أن يهزه الشوق ، وتحرقه النار .. فيصرخ فيهم (أيها النائمون تيقظوا) .. (١) .

وفى مطلع القرن ذاته (٦٠٦ هـ) كان سبطه بن الجوزى يقف فى جامع دمشق ، يعظ ويحث على الغزاة والمقاومة ضد الخطر الصليبى . واذا كان أبو عبد الله يريد من موقفه ذاك فى بغداد أن يهز أعماق الناس ويصغر فى أعينهم قيمة الحياة الدنيا من أجل أن يتحركوا صوب عظائم الامور ، دون خوف من موت أو رهبة من أذى وعقاب ، فإن حفيد ابن الجوزى الشهيد ، يتحرك بهم فعلا صوب ساحات القتال والجود بالنفس والنفيس ، دفعا لعدو غاصب ، وتحريرا لارض مغتصبة . يقول ابن المعاد (٢) : (وتجمع حوله الناس من باب الساعات الى مشهد زين العابدين ، واجتمع عنده شعور نساء كثيرة ، وقطعت احدى النساء شعرها ، وبعثت به اليه ، وقالت : اجعله قيدا لفرسك فى سبيل الله .. فعمل من الشعور التى عنده مجتمعة شكلا لخيل المجاهدين .. وعندما صعد المنبر أمر بإحضارها فكانت ثلاثمائة شكال فلما رآها الناس صاحوا صيحة واحدة وقطعوا مثلها .. ثم ركب وركب الناس ، وخرجوا الى باب المصلى وكانوا خلقا لا يحصون كثرة ، وساروا الى نابلس لقتال الفرنج .. فأسروا وهزموا وهدموا وقتلوا ورجعوا سالمين غانمين .. !!

ويقف أبو الوفاء ابن عقيل (٤٨٨ هـ) متحديا ارادة الوزير السلجوقى ابن جهير ، ناقدا تدهور الاوضاع الاجتماعية والسلوك الاخلاقى ، خلال اشتغال الناس فى بناء أحد أسوار بغداد .. وبينما يكافح أبو عبد الله فى ميدان النفس ويجاهد سبط بن الجوزى فى الجبهة الخارجية ، يقف ابن عقيل بوجه موجة من موجات الانحلال فى الداخل ، فى قلب المجتمع الاسلامى ، ويكتب الى الوزير : (**لولا اعتقادى صحة البعث ، وإن لنا دارا أخرى لعلى أكون فيها على حال أحمدها ، لما بغضت نفس الى مالك عصرى ، وعلى الله أعتمد فى جميع ما أورده بعد أن أشهده أنى محب متعصب . لكن اذا تقابل دين محمد ودين بنى جهير ، فوالله ما أزن هذه بهذه ، ولو كنت كذلك ، كنت كافرا !! فأقول : ان كان فى هذا الخرق الذى جرى بالشريعة عن عمد لمناصبته واضعها ، فما بالنا نعتقد الختمات ورواية الاحاديث ، وإذا نزلت بنا الحوادث تقدمنا مجموع الختمات والدعاء عقبيها ثم بعد ذلك طبول ومخانيث**

وكشف عورات الرجال مع حضور النساء ، اسقاطا لحكم الله .. ترى بأى وجـــه تلقى محمدا صلى الله عليه وسلم .. وأى حرمة تبقى لوجوهنا وأيدينا والسنتنا عند الله ، اذا وضعنا الجباه ساجدة .. ثم كيف نطالب الأجناد تقبيل عتبة ولثم ترابها ، ونقيم الحد فى دهليز الحريم صباحا ومساء ، على قدح نبيـــذ مختلف فيه ، ثم تمرح العوام فى المنكر المجمع على تحريمه ، هذا مضاف الى الزنا الظاهر ، ولبس الحرير ، على جميع المتعلقين والاصحاب . يا شرف الدين أتق سخط اللهفإن سخطه لا تقاومه سماء ولا أرض ، فإن فسدت حالى بما قلت فلعل الله يلطف بى ويكفينى حوائج الطباع . ثم لا تلومنا على ملازمة البيوت والاختفاء عن العوام ، لانهم أن سألونا لم نقل الا ما يقتضى الاعظام لهذه القبائح والانكار لها .. فاتق الله تقوى من علم مقدار سخطه ، فقـــد قال تعالى : (فلما آسفونا انتقمنا منهم) . وقد ملأتكم فى عيونكم مدائح الشعراء ، ومداجاة المتمولين بدولتكم الاغنياء الاغبياء الذين خسروا الله فيكم فحسنوا لكم طرائقكم . والعاقل من عرف نفسه ولم يغيره مدح من لا يخبرها) . (٣) .

إن أبا الوفـــاء لا يجابه فى موقفه هذا السلطة الحاكمة فحسب ، ويخوفها غضب الله وسخطه ، لكنه يسعى الى تعرية التناقضـــات التى تعانيها هذه السلطة بين الشكل والحقيقة ، والظاهر والباطن .. وأكثر من هذا ، أنه يصب وعيده على ظاهرة النفاق الاجتماعى الـــذى تسرب الى النفوس حرصا على الدنيئ وتهافتا على لذاتها .. فالشعر يرخص ويبتذل حتى يغدو مديحا خاويا ينشد فى حضرة المسؤولين ، يزيف الحقائق ويغنى على حسابها .. والاغنياء ـــ الاغبيـــاء ـــ وما أروعهـــا من التفاتـــة .. خسروا أنفسهم ، فراحوا يداجون ويحلون للحكام ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، تزيينا لطرائق الحاكمين ، ووصولا الى مزيد من أكـــوام الذهب والفضة ..

وفى مواجهة زيف الشعر وبلادة الغنى يقف أحمد بن مـــــوسى الزرعى ، أحـــد كبار تلامذة ابن تيمية ، عاملا كادحا ، ينسج بيديه عباءات الصـــوف لكى يتقوت منها ، ويرفض طيلة حياته أن يقبل من أحد شيئا !! وينطلق من كدحه وتجرده هذا ، لكى يجابه بكلمة الحق ملوك الترك وأمراءهم فى مصـــر والشـــام ، فيزور القاهرة مرارا ولا يعود الا وقد أجيب الى كل ما أراد (فأبطل أشياء من المظالم ، وانتفع الناس به كثيرا .) وماذا تكون النتيجة ؟ أن يكرهه (الكثير من أهل الدولة ولا يتهيأ لهم رده فيما يطلب) (٤) .. ذلك أن جماهير الناس تقف معه .. ومع الطرفين .. .. العالم والامة ، يقف الحق الذى لا يغلب .. !!

وما دمنا بصدد فكر مؤمن متجرد كادح ، كما أراد له الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون .. ما دمنا بصدد أناس آلوا على أنفسهم أن يحموا كرامة (مواقفهم) بنسج عباءات الصوف وخصف النعال ، ما دمنا بصدد زعماء أدركوا بعمق أنه ليس بالفكر يغنى الناس ، ويكون الغنى والفقير ، والشبعان والجائع ، والمتخم والمحروم .. فلنستمع الى ابن شبرمة إذن وهو يقول (عجب لهذا الرازى ـــ جرير بن عبـــد الحميد ـــ عرضت عليه أن أجرى عليه مائة درهم فى الشـــهر مـــن

الصدقة فقال : يأخذ المسلمون كلهم مثل هذا ؟ قلت : لا ، قال : فلا حاجة لى فيها) (٥) ولنستمع الى الجنيد وابن مسروق وهما يقولان : (إن حسنا المرحى كان أول من عقدت له الحلقة ببغداد ، وكان أستاذ أكثر البغداديين ، لم يكن له منزل ببغداد يأوى اليه ، وكان يأوى بباب الكناس فى مسجد يكنه من الحر والبرد) (٦) .. ولنستمع الى عيسى ابن موسى بن محمد بن المتوكل يحدث عن نفسه : (مكثت ثلاثين سنة اشتهى أن أشارك العامة فى أكل هريسة السوق فلا أقدر على ذلك لاجل البكور الى سماع الحديث ..) (٧) ..

وماذا عن الشيخ عبد القادر الجيلانى الزعيم الصوفى الكبير ؟ استمعوا اليه : **(طالبتنى نفسى بشهوة فكنت أضاجرها وأدخل فى درب وأخرج الى درب أطلب الصحراء .. ما للأقوياء والشهوات ؟ إنما خلقت الشهوات للضعفاء .. ولقد فتشت الاعمال كلها فما وجدت أفضل من إطعام الطعام . أود لو أن الدنيا بيدى فأطعمها الجيـــــاع !!) ..**
وستظل عبارة الجيلانى ، أبد الآبدين ، علامة شرف لفكرنا الاسلامى، وعدل لتاريخنا العقائدى .. كما ستظل أبد الآبدين ، لعنة على المتسولين على موائد الغرب يقتبسون ، بغباء وعمى منقطع النظير ، عبارات يهودى قالها يوما ، دونما تفحص لمسيرة الاديان وأتباع الأديان فى كل مكان : (الدين أفيون الشعوب) .. وأسألكم بالله كيف يكون ديننا أفيـــونا للمحرومين وهذا زعيم من آلاف من زعمائه ، يعيش جائعا كادحا محروما ، وبامكانه فى لحظات أن يخوض الى ركبتيه فى أنهار الذهب والفضة ، ويخدع ويخدر ، باسم الدين ، أعصاب أولئك الـذين اعتصروا دماءهم وعرقهم فضة وذهبا .. أسألكم بالله كيف يكون الدين أفيونا وهذا الجيلانى يقول : (أود لو أن الدنيا بيدى فأطعمها الجياع) ؟!

إن فكرا حرا من زيف المادة ، وتخدير الترف الفاحش ، واستعباد الدرهم والدينار لقدير على أن يظل دوما فى (موقفه) العالى ، لا ينزل أبدا لاستقبال (عظيم) ولا يمد يده منحنيا ، تملقا لامبراطور أو ملك أو أمير .. ان أبا عبيد يحدثنا فيقول : كنا مع محمد بن الحسن اذ أقبـل الرشيد ، فقام اليه الناس كلهم الا محمد فإنه لم يقم . فسأله الخليفة : مالك لم تقم مع الناس ، فأجاب : كرهت أن أخرج عن الطبقة التى جعلتنى فيها . إنك أهلتنى للعلم فكرهت أن أخرج منه الى طبقة الخدمة التى هى خارجة عنه ؟) (٨) .. لله درك يا أبا الحسن .. ان العلم الشريف لا يمكن أبدا أن يخرج الى طبقة الخدمة والتمسح على الاعتاب .. إنه يوم يخرج الى هناك لا يكون علما ، ولكنه يغدو زيفـــا ، وتذللا .. وأفيـــونا .. !!

واذا كنا فى الصفحات السابقة قد استعرضنا عددا من (المواقف) استعراضا (أفقيا) ، فما أروع أن نختتم هذا البحث الموجز بعــرض (عمودى) لمواقف واحد من علمائنا الذين لا يحصيهم العد ، يحدثنا عنـــه ابن العماد فى (شذرات الذهب) (٩) ، وهى مواقف ذات أبعاد شتى اجتماعية وسياسية وروحية وانسانية ، تتلاءم وتنسجم جميعا فى تكـــوين شخصى متجرد ذكى رقيق شجاع رائع ، طالما عودنا تاريخنا على الالتقاء به فى كل زمان ومكان .. إنه الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة

الحنبلى المقدسى .. ولد بجماعيل فى فلسطين عام ٥٢٨ هـ ، وهاجر الى دمشق لاستيلاء الصليبيين على الارض المقدسة ، وسمع الحديث على الكثيرين ، وقرأ القرآن والفقه ، وكان اماما فاضلا مقــرئا زاهدا عابدا خاشعا من الله منيبا اليه ، كثير النفع لخلق الله ، ذا تهجد واجتهاد وأوقات مقسمة على الطاعات من الصلاة والصيام والذكر وتعلم العلم والفتوة والمروءة والخدمة والتواضع فلقد كان عديم النظير فى زمانه .. هاجر الى مصـــر .. ورجع .. وكتب كثيرا من الكتب والمصـــــاحف وكان يكتب للناس بغير أجرة ، وكان سريع الكتابة ، ربما كتب فى اليوم كراسين من القطع الكبير .. وكان الله قد جمع له معرفة الفقه والفرائض والنحو ، مع الزهد والعمل وقضاء حوائج الناس .. وكان لا يسمع حديثا الا عمل به ، وكان لا يترك قيام الليل من وقت شبابه .. ومات وهو عاقد على أصابعه يسبح ..

وحدثت زوجته أنه كان يقوم الليل فإذا جاءه النوم .. عنده قضيب يضرب به على رجليه فيذهب عنه النوم ، وكان كثير الصـــــيام سفرا وحضرا .. وكان لا يسمع بجنازة الا حضرها ، ولا مريض الا عاده ، ولا بجهاد الا خرج فيه .. وكان لا يخرج الى الجمعة الا ومعه شىء يتصدق به ، وكان يؤثر بما عنده أقاربه وغيرهم ويتصدق كثيرا ببعض ثيابه حتى يبقى فى الشتاء بجبة من غير قميص ، وكانت عمامته قطعة بطانة فإذا احتاج أحد الى خرقة قطع منها ، وكان يلبس الخشن وينام على الحصير .. ومكث مدة لا يأكل أهل الدير الا من بيته ، يجمع الرجال ناحية والنساء ناحية ، وكان اذا جاء بشىء الى بيته فرقه على الخاص والعام. وكان يقول : لا علم إلا ما دخل مع صاحبه القبر ، ويقول : اذا لم تتصدقوا لا يتصدق أحد عنكم ، واذا لم تعطوا السائل أعطاه غيركم . وكان إذا خطب ترق القلوب وتبكى الناس بكاء كثيرا . وكانت له هيبة عظيمة فى القلوب . واحتاج الناس الى المطر فى احدى السنين ، فطلع الى مغارة الدم ومعه نساء من محارمه ، واستسقى ودعا ، فجاء المطر حينئـــذ وجرت الأودية شيئا لم يره الناس من مدة طويلة ..

كان معتدل القامة ، حسن الوجه ، عليه أنوار العبادة ، لا يزال مبتسما ، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام .. وكان يحمل الشـــيح من الجبل الى بيوت الارامل واليتامى ، ويحمل اليهم فى الليل الدراهم والدقيق ، ولا يعرفونه .. ولا نهر أحدا ، ولا أوجع قلب أحد . وكان أخوه الموفق العلامة يقول : هو شيخنا ، ربانا وأحسن الينا ، وعلمنا ، وحرص علينا . وكان للجماعة كالوالد يقوم بمصالحهم ، ومن غـــاب منهم خلفه فى أهله ، وهو الذى هاجر بنا وسفرنا الى بغداد وبنى الدير !! ولما رجعنا من بغداد زوجنا وبنى لنا دورا خارجة عن الدير وكفانا هموم الدنيا . وكان يؤثرنا ويدع أهله محتاجين .. وبنى المدرسة والمصـــنع بعـــلو همتـــه ..

وكان مجاب الدعوة ، ما كتب لأحد ورقة للحمى الا وشفاه الله تعالى .. وذكر جماعة أن كآبة غشيت وجهه قبل موته بست سنين .. وقال عنه سبط بن الجوزى : كان على مذهب السلف الصالح ، حسن العقيدة ، متمسكا بالكتاب والسنة والآثار المروية . .من غير طعن على

أئمة الدين وعلماء المسلمين ، وينهى عن صحبة المبتدعين ويأمر بصحبة الصـــــالحين ..

ولما كان عشية الاثنين الثامن عشر من ربيع الاول سنة ٦٠٧ هـ جمع أهله واستقبل القبلة ، ووصاهم بتقوى الله ومراقبته .. وكان آخـــر كلامه **(إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن الا وأنتم مسلمون)** وما لبث أن توفى دون أن يخلف قليلا ولا كثيرا .. وكان يوما مشهودا !!

تلك هى شذرات من ملايين (المواقف) التى صنعت تاريخنا وميزته على تواريخ الامم والشعوب ، ومنحته لونه ورائحتـــــه .. إن كتب (التراجم) ، وما أكثرها وأحفلها وأغناها ، تضم بين ثناياها الكثير والكثير من مواقف كهذه بأبعادها الانسانية المختلفة : اجتماعية وسياسية وروحية وفكرية .. ومقارنة بسيطة بين رجال الفكر فى عصور العقيدة والابداع، وبينهم فى عصور التحلل والتقليد ، ترينا هوة سحيقة ، ومحزنة فى الوقت ذاته بين أجيال من قادة العقيدة والفكر قادوا أمتنا عبر المحن والملمات فى ميادين النفس والمجتمع والعالم ، وبين أجيال من رواد العقيدة والفكر اجتازوا بها ، فى فترات أخرى ، المضائق ، والمنعطفات الوعرة دون أن يخرجوا بها الى أرض الحرية الحقيقية والتوحد والعدل والانسجام .. ذلك أن مواقف الأولين وقياداتهم كانت تنبعث وتصدر عن عقيدة متوغلة فى أعماق النفس منبثة فى شرايين الفكر ، متأصلة فى حنايا الوجدان .. والآخرون — الا من رحم ربك — لم يصدروا ســـوى عن تقليد ميت مزيف ، مهما أدعوا من انتماءاتهم العقائدية والايديولوجية. إن كل واحد من اولئك كان تمثيلا وتشخيصا حيا لافكاره ومبادئه ودعوته .. فكانت كلماتهم وتعاليمهم تنتشر فى نفوس الناس انتشار النـــار فى الهشيم ، وهم يرون معلميهم رأى العين : يقاتلون معهم إذا قاتلوا ، ويجوعون معهم إذا جاعوا ، ويبكون معهم إذا بكوا ، ويضحكون معهم إذا ضحكوا .. كانت العقيدة تمتلك من القدرة والحيوية ما يحيل المعلم والتلميذ الى (سيمفونية) تجاوب وانسجام وحركة متناغمة مع الطبيعة والعالم والاشياء ، ومن ثم صنع المعلم والتلميذ تاريخا ينبىء بالاصالة والتمخض والابداع .. فكانت القاعدة — دوما — ترتكز على خشية الله وحبه ، ومراقبته والاحساس برؤياه التى لا تفتر لحظة .. قاعدة لم يخب السائر عليها فى يوم من الايام .. وكيف يخيب من يحيل حيـــاته كلها الى معطيات ترضى الله سبحانه ولا تثير سخطه وغضبه !!

إن كل عالم من علمائنا الملايين قدوة حية ما أحرانا أن نتأسى بهـــا اذا ما أردنا أن نحصل ثانية على رضا الله ، ونقدر على صـــنع تاريخنـــا ومجدنا .. ومهما ضللنا وتخبطنا وأخطأنا .. فإننا لا بد وأن نصل يوما ، ما دمنا قد وضعنا خطانا على ذات الطريق الذى حفره فى أرضية العالم رواد شرفنا وكرامتنا ومجدنا .. فأعلنوا بمواقفهم هذه انتصار (الانسان) وتجـــاوزه عوالم النمل والنحل والحيوان ..

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٨٣/١٣ . (٢) شذرات الذهب ١٨/٥ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ٨٥/٩ و ٨٦ .

(٤) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ٣٢٤/١ .

(٥) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٢٥٨/٧ .

(٦) المصدر السابق ٣٦٧/٧ . (٧) المصدر السابق ١٧٨/١١ .

(٨) المصدر السابق ١٧٣/٢ . (٩) شذرات الذهب ٢٧/٧ — ٣٠ .

حكم جمع القراءات في المحافل

حاصل ما ذكره علماء القراءات أن الجمع قسمان :

الأول ما يكون فى حال التلقى والمشافهة والأخذ عن الشيوخ ، بأن يقرأ الطالب على أستاذه القراءات السبع أو العشر ، فيقرأ الآية برواية مع استيعاب طرقها ، ثم يعيد الآية بالرواية الثانية مع استيعاب طرقها أيضا ، وهكذا حتى يستوعب جميع الروايات فى قراءة هذه الآية . ثم ينتقل الى الآية الثانية فيصنع فيها كما صنع فى الآية التى قبلها ، وهكذا حتى ينتهى من قراءة القرآن الكريم كله على هذا النحو .

والقسم الثانى ما يكون فى المحافل ، وكيفيته هى كيفية القسم الاول ، فيقرأ القارىء الآية برواية ثم يعيدها بأخرى وهكذا حتى يستوعب جميع الروايات أو معظمها فى هذه الآية ، ثم ينتقل إلى الآية الثانية ، فيسير فيها سيره فى الأولى إن شاء ، وهكذا حتى يفرغ من قراءته .

وحينئذ لا يكون ثمة فرق بين القسمين الا أن الأول يكون بين يدى الاستاذ ، والثانى يكون أمام الجمهور .

والجمع ـ بقسميه ـ مبتدع مستحدث لم يكن فى العصر النبوى ، ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ، ولا فى الصدر الأول ، ولا فى عصر الأئمة المجتهدين .

على هذا اتفقت كلمة علماء القراءات سلفا وخلفا لم يشذ منهم أحد . فلقد كان الطالب فى هذه الاعصر يجلس الى أستاذه فيقرأ عليه ما يريد من القراءات السبع أو العشر ، ولكنه لا يقرأ الآية أكثر من مرة بل يقرأ القرآن الكريم كله برواية واحدة ، ثم يستأنف قراءته بالرواية الثانية ، فيقرأ ختمة برواية قالون وأخرى برواية ورش وثالثة برواية البزى ورابعة برواية قنبل وهكذا حتى يأتى على جميع الروايات .

وعلى هذه السنن كانت قراءة القرآن فى المحافل ، فكان القارىء لا يقرأ أمام الجمهور الا برواية واحدة لا يعيد آية ولا يكرر أخرى .

ظلت قراءة القرآن الكريم على هذا النهج الى أوائل القرن الخامس الهجرى ، وفى هذا القرن ـ وكان فيه من أئمة القراءة أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى ـ أحدث القسم الأول من الجمع وهو الذى يكون فى حال

التلقى ، وكان الحافز على احداثه واتباعه ما رأى أئمة القراءة فى هـــذا العصر من ضعف فى العزائم وفتور فى الهمم واحتياج الى زمن طويل يمكن تلقى علم القراءات فيه على طريقة السلف الصالح .

فرأوا — تيسيرا على طالب تلقى القراءات وشحذا لعزيمته وتمكينا له من تحصيل هذا الفن فى وقت وجيز — أن يخترعوا هذا الجمع .

وهذا الجمع لم يتفق العلماء على جوازه ، بل منهم من أجازه نظـــرا لما يترتب عليه من الفوائد السالفة ، ومنهم من منعــــه نظرا لأنه لم يعهد فى عصر التنزيل ، ولا فى القرون التى شهد لها الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية . وهاك بعض نصوص العلماء فيه .

قال العلامة المحقق ابن الجزرى فى كتابــــه (النشر فى القراءات العشر) .

((وكانوا يقرءون على الشيخ الواحد العدة من الروايات والكثير من القراءات كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى غيرها ، وهذا الذى كان عليه الصدر الاول ، ومن بعدهم إلى أثناء المائة الخامسة ، عصر الدانى وابن شيطا والأهوازى والهذلى ، ومن بعدهم ، فمن ذلك الوقت ظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة واستمر الى زماننا ، وكان بعض الائمة يكره ذلك من حيث أنه لم تكن عادة السلف الصالح عليه ، ولكن الذى استقر عليه العمل هو الأخذ به والتقرير عليه وتلقيه بالقبول ، وانما دعاهم الى ذلك فتور الهمم وقصد سرعة التلقى والانفراد)) .

وقال الجلال السيوطى فى (الاتقان) .

((الذى كان عليه السلف الصالح أخذ كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى غيرها الى اثناء المائة الخامسة ، فظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة واستقر عليه العمل)) .

وقال العلامة الدمياطى فى كتابه (اتحاف فضلاء البشر) .

((وكان السلف لا يجمعون رواية الى أخرى ، وانما ظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة اثناء المائة الخامسة فى عصر الدانى واستمر الى هذه الازمان)) .

وقال العلامـــة الصفاقسى فى كتابه (غيث النفع فى القـــراءات السبع) .

((لم يكن فى الصدر الاول هذا الجمع المتعارف فى زماننا ، بل كانوا لاهتمامهم بالخير وعكوفهم عليه يقرءون على الشيخ الواحد العـــدة من الروايات والكثير من القراءات كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الـــى رواية ، واستمر العمل على ذلك الى اثناء المائة الخامسة عصر الدانى وابن شريح وابن شيطا ومكى والاهوازى وغيرهم ، فمن ذلك الوقت ظهر جمـــع القراءات فى الختمة الواحدة واستمر عليه العمل الى هذا الزمان وكـــان بعض الأئمة ينكره من حيث أنه لم يكن عادة السلف .

قلت وهو الصواب اذ من المعلوم أن الحق والصواب فى كل شىء مع الصدر الأول قال تعالى : « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » وقال صلى الله عليه وسلم « وإنه من يعش منكم بعدى فسيرى أختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من

بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار)) .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه ((من كان منكم متأسيا فليتـأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هديا ، وأحسنها حالا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وأقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم فى آثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم)) .

ثم قال صاحب الغيث .

((وانظر الى توقف — افضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليـه وسلم — أبى بكر وعمر وغيرهما من الصحابة فى جمع القرآن وكتبه فى المصاحف ، واشفقوا من ذلك مع أنه يظهر فى بـادىء الرأى أنه حق وصواب ، اذ لولا جمعه وحفظه لذهب هذا الدين نعوذ بالله من ذلك .

((وتوقف كثير من أئمة التابعين وأتباعهم فى نقطـه وشكله وكتب اعشاره وفواتح سوره ، وبعضهم أنكر ذلك ، وأمر بمحوه مع أن فيه مصلحة عظيمة للصغار ، ومن لم يقرأ من الكبار فى زماننا وزمانهم .

فاذا كان أعلم الناس وأفضلهم توقفوا فى مثل هذا ، وخافوا أن يكون ذلك حدثا أحدثوه بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فما بالك بأمر لا يترتب عليه كبير نفع ، وربما يترتب عليه الفساد والغلط والخلط والداعى اليه النفس لتحصيل حظوظها من الراحة وتقصير زمن العبادة . جنح الى هذا الكسالى والمقصرون ووافقهم على ذلك شفقة عليهم وخوفا من انسلاخهم من الخير بالكلية الأئمة المجتهدون)) . .

ويؤخذ من هذه النصوص أمران —

الأول — ان المراد بالجمع فى كلام هؤلاء الأعلام هو القسم الاول منه وهو ما يكون فى حال التلقى والأخذ عن الشيوخ ، كما يرشد الى ذلك قول ابن الجزرى وصاحب غيث النفع .

كانوا يقرءون على الشيخ الواحد الخ ، وقول الشيخ السيوطى :

الذى كان عليه السلف أخذ كل ختمة ، فان المراد بالأخذ انما هو التلقى والقراءة على الشيخ .

ويرشد الى ذلك أيضا قول ابن الجزرى وانما دعاهم الى ذلك فتور الهمم وقصد سرعة الترقى والانفراد ، فالمراد بالترقى والانفراد معرفة هذا العلم والاحاطة خبرا بمسائله ودقائقه والاستغناء عن المعلم .

الأمر الثانى — ان هذا الجمع مختلف فيه بين العلماء منهم من أجازه وهو ابن الجزرى لما ينشأ عنه من سرعة الترقى والانفراد والحصول على هذا العلم فى أقرب وقت ، ومنهم من منعه وكرهه لمخالفته ما كان عليـه السلف الصالح ، وممن صوب كراهته ومنعه الصفاقسى صاحب (غيث النفع) وعبارته صريحة فى ذلك وليس فى النصوص ما يفيد مطلقا أباحة الجمع فى المحافل بل كلها صريحة فى جواز الجمع أو منعه فى حال التلقى ، وأما القسم الثانى من الجمع — وهو الذى يكون فى المحافل مع كونه مخترعا

كالقسم الاول ، فلم ينقل جوازه واباحته من أحد من علماء القرآن فى جميع الاعصار والامصار .

وبين أيدينا معظم كتب القراءات مطبوعها ومخطوطها وقد حكت الخلاف فى القسم الاول من الجمع وذكرت أن من العلماء من أجازه لما فيه من قصر الزمن وسرعة التحصيل ، ومنهم من منعه لعدم وروده عن الصدر الأول والسلف الراشد . وقد نقلنا لك بعض نصوصهم ولكن لم نظفر فيها بنص واحد عن أحد من العلماء يبيح الجمع فى المحافل لأن العلة التى من أجلها أبيح القسم الأول لا تتحقق فى هذا القسم .

فحيث أن الجمع فى المحافل لم يكن فى الصدر الأول ولم يؤثر عن أحد من العلماء فى أى عصر من العصور أباحته وجوازه ، وليس هناك ما يبرره ويسوغه تعين أن يكون من البدع الضارة والسنن المحدثة المقوته ويكون مندرجا تحت قوله صلى الله عليه وسلم ((من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

ذلك ان قراءة القرآن عبادة من أجل العبادات وقربة من أعظم القربات ، وقد اتفقت كلمة العلماء على أن ما حدث فى العبادات سواء كان ذلك زيادة أم نقصا ، وسواء كان قولا أم فعلا ، ولم يكن هناك من أدلة الشرع العامة ما يجيزه فهو بدعة وضلالة وتغيير بما لم يأذن به الله فيجب الوقوف فى جميع أنواع العبادات عند الحد الذى رسمه الشرع الشريف قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتى » الحديث .. وقد ذكرناه آنفا . وقال أيضا « اتبعوا ولا تبتدعوا فانما هلك من كان قبلكم بما ابتدعوا فى دينهم وتركوا سنن أنبيائهم وقالوا بآرائهم فضلوا وأضلوا » وقال صلى الله عليه وسلم « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود فقد أخبر أن خير القرون مطلقا قرنه وذلك يقتضى تقديمهم فى كل باب من أبواب الخير . فلو لم يكن فى هذا الجمع الا أنه مخالف لما ورد عن الرسول وصحابته وعن التابعين بل وعن علماء القرآن فى جميع العصور لكان ذلك كافيا فى رده ومنعه .

على أنه قد ورد عن العلماء التصريح بانكاره ورفضه قال الأمام ابن الجوزى فى كتابه « تلبيس أبليس » عند الكلام على تلبيسه على القراء : — أن من تلبيسه عليهم أن منهم من يجمع القراءات ، فيقول : ملك مالك ملاك وهذا لا يجوز لأنه اخراج للقرآن عن نظمه .

وقال الامام المجتهد أحمد بن تيميه فى فتاويه .

« ان جمع القراءات فى الصلاة أو فى التلاوة بدعة مكروهة ، وجمعها لأجل الحفظ والدرس من الأجتهاد الذى فعله طوائف ، وان الجمع لم يقع بحال من الصحابة والتابعين » .

والخلاصة أن الجمع فى المحافل بدعة منكرة لا ينبغى اقرارها ولا السكوت عليها .

يضاف الى ذلك ما فى هذا الجمع من التكرار الذى يقطع على السامع سلسلة تتابع المعانى ويضطره طوعا أو كرها الى أن يحصر ذهنه فى التفكير فى الروايات المختلفة التى تطرق سمعه فيحول ذلك بينه وبين المقصود الأعظم من سماع القرآن وهو فهمه وتدبره والانتفاع بما فيه من رشاد وهداية وعظة وعبرة .

ومن أقبح أنواع الجمع ما يسمونه الجمع الحرفى وهو أن يعمد القارىء الى كلمة مشتملة على روايات متعددة أو أوجه متنوعة فيعيد هذه الكلمة بعدد ما فيها من الروايات أو الأوجه فى نفس واحد فيقول مثلا — وقالت هيت لك وقالت هيت لك وقالت هيت لك . وقالت هئت لك وقالت هئت لك . يقصد القارىء بذلك الاغراب على السامعين وايهامهم ان عنده من كثرة الروايات والأوجه ما ليس عند غيره وكل من عنده أدنى مسكة من فهم أو ذوق يدرك أن هذا النوع مخل بنظم القرآن مضيع لرونق التلاوة مذهب لجمال الأداء .

والقارىء الذى فى قلبه بقية من دين وأثارة من توقير القرآن وتقديسه لا يرتكب هذه الجريمة النكراء فى تلاوة كلام رب العالمين .

وقصارى القول أنه يجب على القارىء شرعا أن يقرأ لراو واحد سواء كان حفصا أم غيره نعم اذا قرأ حزبا أو نصفه أو ربعه لراو كورش مثلا وأراد أن يقرأ حزبا آخر فله أن ينتقل لراو آخر .

وعليه الا يقرأ لراو ما الا اذا كان واثقا مما يقرأه متثبتا من أصول الراوى فاذا شك فى وجه أو طريق فعليه أن يدع ما يريبه الى ما لا يريبه ، ويقرأ بما هو متثبت منه حتى لا يخلط بين رواية ورواية وحتى لا يقرأ بما لم يرد عن الراوى الذى يقرأ له .

---

* عن كتاب مع القرآن الكريم من سلسلة دراسات فى الاسلام التى يصدرها المجلس الاعلى الشئون الاسلامية بالقاهرة .



للفريق عبد الرحمن محمد أمين

ان الكلام عن شهيد المعركة هو أعذب الحديث وأشرف القصص . لأنه قمة الفداء ، وأعظم التضحية .

وشهيد المعركة يصور باستشهاده ، ما ينبغى أن يكون عليه المؤمن الذى يفتدى ما يعتقد باليقين والاخلاص والفداء .

وشهيد المعركة يحقق باستشهاده الايثار الذى حقق أمجد الانتصارات للدين الحق فهو يجود بنفسه من أجل تمكين العقيدة ، وتثبيت الدين .

من أجل مجتمع العزة والكرامة والحرية « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

فقد مكث النبى صلى الله عليه وسلم قائما بالدعوة ثلاث عشرة سنة وآمن به المسلمون الأول السابقون الى الاسلام .

وأوذى النبى صلى الله عليه وسلم ايذاء شديدا وصبر . وصبر معه أصحابه متحملين فى سبيل عقيدتهم الوانا من العذاب لا يصبر عليها الا مؤمن مفوض محتسب .

وكانت هذه الفترة التى عاشها النبى ومن معه فى مكة فترة تدريب وتأهيل للمعركة المصيرية معركة الدفاع عن الحق بأسلحة الايمان والجهاد والصدق .

وذلك الى أن أذن الله لرسوله بالهجرة الى المدينة المنورة . ثم أذن الله له بالقتال ، ولم يشرع القتال محبة فى اراقة الدماء أو تقويض المجتمع بالهدم والتخريب ، وأنما شرع لدفع الضرر عن العقيدة والنفس والعرض والحياة ، وأذن الله لنبيه أن يقاتل قوما أخرجوه من بلده لأنه دعا الى الحق الذى بعث به ليكون المجتمع الفاضل . اذن الله لنبيه بالقتال لتكون الدعوة الى الله حرة لا يقف أمامها غاصب أو جاحد أو منكبر ، أذن الله لنبيه بالقتال ليكون الناس آمنين على أنفسهم وعقائدهم من سلطان الباطل وزلزلة الطغيان . وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

اذن الله لنبيه بالقتال تدعيما للسلام الذى أرسل به فلم يكن السيف طريقا الى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يزعم خصوم الاسلام ولكنه ضرورة لارساء قواعد السلام الذى ناضل من أجله رسول الله وصحابته وصبروا وصابروا ورابطوا حتى نصرهم الله .

وأكبر دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلجأ للسيف الا مضطرا وذلك بعد ثلاث عشرة سنة قضاها فى احتمال المكاره . .

ما رواه ابن اسحاق . من أن بنى مخزوم كانوا يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه — وكانوا أهل بيت اسلام — اذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول (صبرا آل ياسر موعدكم الجنة) فاما أمه فقتلوها وهى تأبى الا الاسلام .

وقال ابن اسحاق : حدثنى حكيم بن جبيل عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يحملهم على ترك دينهم : قال : نعم والله .

وان كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوى جالسا مع شدة الضر الذى نزل به . حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة . حتى يقولون له : اللات والعزى الهك من دون الله : فيقول : نعم حتى ان الجعل ليمر بهم فيقولون له : هذا الجعل الهك من فوق الله فيقول : نعم . افتداء منهم عما يبلغون من جهده .

وما كان يدور بخلد هؤلاء الصابرين ان يتحركوا لقتال . بعدما استقر فى قلوبهم من الايمان والصبر والاحتساب .

وكان كل ما يؤملونه مواساة من رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى عنهم وتخفف عن كواهلهم متاعب الايذاء .

وكانت الكلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفتح لهم الآفاق المغلقة — وتكشف الحجب ليروا بنور الله ان نصره لقريب .

روى البخارى عن أبى عبد الله خباب بن الارت رضى الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا : الا تستنصر لنا الا تدعولنا فقال « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها « ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون »

وبهذا الأدب كانت الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذه التربية نشأهم الله فكانوا أهلا للجهاد فى سبيل الله .

الاذن بالقتال :

قال الله عز وجل (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .)

ومن هنا كان الاذن بالانتصار للعقيدة بالانتصار للوطن . للديار . للأهل . للعشيرة للحفاظ على كل مكان مقدس . وشعار مقدس تحركت القوى المؤمنة لحمل السلاح حتى الشهادة فى سبيل الله .

نعم القتال فى سبيل الله حتى الاستشهاد لأنه أمر من العلى الحكيم .

قال الله عز وجل (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم .ويدخلهم الجنة عرفها لهم . يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم . ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم . أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها . ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم . ان الله يدخل الذين آمنوا وعملو الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم . وكاين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم .)

نعم وصدق الله (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم) نعم هو الله واهب الحياة . يرزق الهداية ، ويخلق السعادة ، وينزل المجاهدين الأبرار أعلا المنازل وأن استشهدوا فلهم الحسنى وزيادة .

يا فرحة المجاهدين ، وفى سبيل الله ما بذلوا انهم يعطون الله الذى أعطاهم . يعطونه أرواحهم وهى من أمره .

ويهبونه المال وهو من عطائه . ويتركون الاهل والولد فى رعايته . والله نعم الخليفة فى المال والاهل والولد .

فما أحلى المعركة ، وما أعظم تحقيق الهدف بالاستشهاد .

ان الحياة كلها الى فناء ، واما الدين فهو الخالد فاذا استشهد مؤمن ليبقى الدين وتعلو كلمة الله فانه المثل البشرى الذى يعطينا أكمل الايمان بالفناء فى ذات الله .

ولست أبالى حين أقتل مسلما   على أى جنب كان فى الله مصرعى .

بيع الروح :

بيعها لله ونعم البيع :

قال الله تعالى : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .)

ياثقة المؤمنين بالله ويا هناء الشهداء بوعد الله . وربح البيع لأن ربحه جنة عرضها السموات والارض .

صفات الشهداء :

وهل هناك أسمى من صفات أنعم الله بها عليهم (التائبون ، العابدون الحامدون ، السائحون ، الراكعون ، الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) .

وتلك منزلتهم من الايمان والخلق صفات تثبتهم فى مواطن الزلل ، وتزيدهم عند لقاء العدو صلابة واقداما .

ولا يواجه شهيد عدوا الا بصفاء فطرته ونضج عقيدته واستعانته بالله عز وجل . والشهيد لا يقبل على العدو بجسمه فحسب ، ولكنه بمشاعره كلها واحاسيسه التى تملك عليه كل شعرة فى جسده وكل نبضة من قلبه .

وهو بذلك فى سبيل الله لأنه يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا .

ومن أخص صفات الشهداء العمل يجدون فيه ميادين الجد والحرص على منفعة المسلمين وحتى تبرز تلك الصفات نسوق حديث القراء الشهداء وخلاصته : ــ

ان رجالا من أهل نجد ورائدهم (أبو براء بن ملاعب الاسنة) جاءوا الى النبى صلى الله عليه وسلم . يطلبون رجالا يعلمونهم ما أنزل عليه من كتاب وسنة ويحقق النبى لهم الرجاء فيبعث اليهمبسبعين رجلا من الانصار فيهم حرام بن ملحان مع عدد كبير من القراء .

وتلك هى صفتهم . ينفقون ليلهم فى قراءة القرآن ومدارسته ليزدادوا فقها وعلما وحكمة وتأهيلا وصلة بالله رب العالمين .

وأما نهارهم ففى خدمة الاسلام وأهله يجيئون بالماء فيضعونه فى المسجد لينتفع به المسلمون المحتاجون اليه شربا واستعمالا ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء . . وما يعزز ويؤكد هذه الصفات فيهم ما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود (لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها) . ويبعثهم النبى ويعترض طريقهم عدو الله عامر بن الطفيل فقتل حامل الكتاب حرام بن ملحان بطعنة فى رأسه فتلقى حرام دمه بكفه ثم نضحه على وجهه وقال فزت ورب الكعبة . وما الفوز الا بالشهادة

التى حققت له السعادة فيالها من شهادة لأول القراء وحامل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدور المعركة بين الصفوة من عباد الله عقيدة وعملا وبين عدو الله عامر بن الطفيل الذى استصرخ عليهم بنى عامر فأبــوا أن يجيبوه ، فاستصرخ عليهم قبائل من عصية وسليم ورعل فأجابوه . وخرج الكفرة البغاة وغشوا القوم المؤمنين وأحاطوا بهم فى حالهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا منزل أبى براء روى ابن سعد قال : لما أحيط بهم قالوا اللهم انا لا نجد من يبلغ رسول السلام غيرك فاقرئه منا السلام فاخبره جبريل بذلك فقال وعليهم السلام . انهم رضوا من الله بما رأوه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ورضى الله عنهم بما قدمــوه من طاعات وأبرزهــا الشهادة فى سبيله .

الحوافز الدافعة للاستشهاد :

١ ــ الحياة الطيبة عند ربهم والرزق الكريم فى جواره : قال اللــه تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهــم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المحسنين) روى الترمذى عن عبد الله رضى الله عنه انه سئل عن هذه الآية فقال انا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا أن أرواحهم فــى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وتأوى الى قناديل معلقــة بالعرش فاطلع عليهم ربهم فقال هل تستزيدون شيئا فأزيدكم فقالوا تعيــد أرواحنا فى أجسامنا حتى نرجع الى الدنيا فنقتل فى سبيله مرة أخرى وزاد فى رواية وتقرىء نبينا السلام وتخبره عنا أنا قد رضينا ورضى عنا وروى الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى يا جابر مالى أراك منكسرا قلت يا رسلول الله استشهد أبى يوم أحد وترك عيالا ودينا قال الا أبشرك بما لقى الله به أباك قلت بلى يا رسول الله قال ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وأحيا الله أباك فكلمه كفاحا فقال يا عبدى تمن على أعطيك قال يا رب تحيينى فاقتل فيك ثانية قال الرب عز وجل انه قد سبق منى أنهم اليها لا يرجعون قال وأنزلت الآية .

٢ ــ المصير الى الجنة : روى الامام مسلم عن أبى بكر عن أبى موسى الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أبــواب الجنة تحت ظلال السيوف فقام رجل رث الهيئة فقال يا أبا موسى أأنــت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا قال نعم فرجع الــى أصحابه فقال اقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فالقاه ثم مضى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل .

وروى الامام مسلم عن أنس رضى الله عنه قال انطلق رسول اللــه وأصحابه حتى سبقوا المشركين الى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقدمن أحد منكم حتى أكون أنا دونه فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى جنة عرضها السموات

والارض . قال يقول عمير بن الحمام الانصارى رضى الله عنه يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض قال نعم بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملك على قول بخ بخ قال والله يا رسول الله الا برجاء أن أكون من أهلها قال فانك من أهلها فاخرج تمرات من قوته فجعل يأكل منهن ثم قال لئن أنا بقيت حتى آكل تمراتى هذه انها لحياة طويلة .

٣ ـــ الوفاء مع الله : وروى عن أنس رضى الله عنه قال غاب عمى أنس بن أنضر رضى الله عنه عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وابرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر انى أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ان نعرفه لقد وجدنا به ثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته ببنانة . قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

٤ ـــ تكفير الذنوب : روى الامام مسلم عن أبى قتادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه قام فيهم خطيبا فذكر أن الجهاد فى سبيل الله والايمان بالله أفضل الاعمال . فقال رجل يا رسول الله أرأيت ان قتلت فى سبيل الله تكفر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت ؟ قال أرأيت ان قتلت فى سبيل الله تكفر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ، الا الدين ، فان جبريل عليه السلام قال لى ذلك .

فالشهادة مغفرة عامة الا ما كان حقا لآدمى من دم أو عرض أو مال . على أن الدين فى ذمة الشهيد لا يمنع من أجر الشهادة بل هو شهيد مغفور له كل ذنب الا الدين .

٥ ـــ الشفاعة : روى ابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة ، الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء .

وروى أبو داود والترمذى عن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته .

٦ ـــ التثبيت وعدم الفتنة : روى النسائى عن راشد بن سعد رضى الله عنه عن رجل من الصحابة أن رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد : فقال (كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة) وحسب الشهداء أنهم سيسكنون أحسن الجنان ويقيمون أطيب مقام ، وينالون من الله عز وجل خير كرامة . حتى أنهم يودون الرجوع الى الدنيا ليقتلوا فى سبيل الله مرة ومرة لما يروا من الكرامة والفضل فعن أنس رضى

الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد يموت له عند الله خير يسره ان يرجع الى الدنيا وان له الدنيا وما فيها ، الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يسره أن يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى : وهل هناك نفس بشرية اتقى من نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الـــذى يحدث عن نفسه فيقول (والله انى لاتقاكم لله)

انه الرسول التقى النقى الوفى الشجاع المحارب ، ففى بدر يقـــدم القوم ، وفى أحد يثبت حين فر من حوله وفى حنين ينادى (وقد أعجب القوم كثرتهم) : (انا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب) حتى أعز الله به الملة ونصر بثباته الجيش .

وفى كل موقعة له من المواقف الرائعة ما يضيف الى فنون الحـــرب فنونا وفنونا هذا النبى العربى الشجاع حببت إليه الشهادة فى سبيل الله حتى ود ان غزا فقتل فى سبيل الله ثم يحييه ربه ليقتل مرة ومرة .

روى الامام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) .

حب الشهادة :

ومن أجل هذه المزايا وذلك الفضل كانت الشهادة أحب شىء الى من عاشوا حياة المجاهدين .

وكانت المنافسة عليها بين الوالد وولده والأخ وأخيه تبلغ حدا مـــن الجدال لا يزول الا بتدخل الرسول صلى الله عليه وسلم ليضع له حدودا .

كما حدث مع خيثمة وولده سعد وكل من الولد والوالد يريد أن ينال شرف القتال فى أول لقاء مع الكفار فى غزوة بدر الكبرى ولا يجدان وسيلة الا أن يقترعا ويفوز سعد ويرجوه الوالد أن يؤثره على نفسه وتخرج الكلمات العذاب من فم الولد المحارب (والله يا أبت لو كان ما تطلبه منى غير الجنـــة لفعلت) . ويخرج سعد مع الرسول صلى الله عليه وسلم وينال ما يريـــد من الشهادة فلقد استشهد فى بدر وصعدت روحه الطاهرة مطمئنة وراضية وكان الوالد فلم يكن به لوعة من فراق الولد الحبيب لابل كانت به لوعـــة الحرمان من الشهادة فى سبيل الله وها هو خيثمة يحدث عن نفسه فيقول :

(لقد أخطأتنى وقعة بدر ، وكنت والله عليها حريصا حتى ساهمـــت ابنى فى الخروج فخرج فى القرعة سهمه . فرزق الشهادة ، وقد رأيـــت البارحة ابنى فى النوم فى أحسن صورة يسرح فى ثمار الجنة وأنهارهـــا ويقول الحق بنا فى الجنة فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا) .

صوت المعركة :

وصوت المعركة يرن فى آذان العرب من جميع الآفاق وهو رنين يترجمه صدى الشهادة التى يحققها حرص شعوب العرب على نجاح المعركة : ونجاحها له أسس وأصول تنحصر فيما يلى : —

١) دفاع العرب لتحرير كل شبر عربى بالنفس والمال .
٢) حتمية المعركة لتحقيق النصر باذن الله .
٣) تسخير موارد الشعوب العربية للمعركة .
٤) قيام المعركة على البذل الذى ينتهى بالاستشهاد .

٥) الخطوط الخلفية وتتلخص فيما تأتى :

أ) التعبئة العامة وتنظيم الجهود الشعبية (حراسة ودفاعا مدنيا ودفاعا شعبيا) وتوعية روحية وقومية .
ب) رعاية الجنود .
ج) رعاية أسر الشهداء .

وهذا التنظيم لخصه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله (لينبعث من كل رجلين رجل والأجر بينهما) .

النفير العام :

ورنين المعركة صورة واضحة لنفيرها العام ويجب لدوام هذا النفير ابراز ما يأتى :

أولا — المناهج الدينية القتالية فى الكليات والمعاهد والمدارس على اختلاف درجاتها .

ثانيا — البيئة القتالية بتطويرها تطويرا كليا لصالح المعركة فى اقتصادياتها وتعاونها القتالى المطلق .

ثالثا — ان يكون هذا التطوير نابعا من الخلق القتالى الفاضل بالحفاظ على تراثنا الدينى واخلاقنا الدينية .

رابعا — ان تكون دراسات المعركة وبحوث المؤتمر القتالية أحاديث اللقاءات والندوات والشعارات .

خامسا — الدعوة الى تقشف عام والبعد كل البعد عن كل رفاهية بدنية وفكرية .

سادسا — الايمان بالواجب وتأديته باخلاص .

نحن قوم لا نأكل حتى نجوع

صدقت سيدى رسول الله — وقولك دائما الصدق — وكيف لا يكون ذلك ، وأنت الصادق الوعد الأمين ... فى كلمات لا تزيد عن العشر وضعت منذ أربعة عشر قرنا أساسا للطب متينا ، ونصحا لو وعاه المسلمون — بل والناس أجمعون — لما عرضوا أنفسهم لهذه الامراض التى يئنون منها ويصرفون المال الطائل للتخلص من المها .

« لا نأكل حتى نجوع » ومن منا جلس الى مائدة طعام وهو يحس الجوع ولم يشعر بلذة الطعام حتى ولو كان فى قلة من النوعية والكم ؟ ومن منا لم يجبر مرة الى طعام وهو لا يحس بالجوع الا وكان هذا سببا فى ارتباك شديد فى جهازه الهضمى ونحن نعلم معشر « الاطباء » فى علمنا الحديث أنه اذا جعنا قلت نسبة السكر فى الدم ، ويتبع ذلك ارسال اشارات الى اجزاء بالمخ تجعل الانسان يحس بهذه الرغبة الشديدة الى الطعام ، بل وتجعل كل أجهزة الجسم تسعى اليه وتستعد لتلقيه . وعند الجوع تبدأ المعدة فى الحركة وتتبعها الامعاء ويشعر الانسان بهذه الحركة تنبهه لأن جسمه فى حاجة الى وجبة من طعام ، ولعل ذلك التنبيه يكون شديدا مؤلما اذا طالت المدة وامتدت ، دون الحصول على ذلك الطعام . ولو تدبر ووعى الذى يجوع ، هذا الألم ، لتألم لفقير لا يجد طعاما يسد به رمقه ، ولمد الغنى يده الى ذى حاجة تتمنى نفسه أن تجد شيئا من الطعام يدفع عنها هذا الألم ، ويالها من حكمة بالغة لو وعاها الناس ، فلا حقد من فقير على غنى ، ولا استعلاء وخيلاء وتجبر من غنى على فقير ، فالكل مجتمع واحد يحس الفرد بأحاسيس من حوله ، وما أروعها من أمثلة ضربها سلفنا الصالح الخالد بروح التعاطف فيما بينهم كان يقتسم الفرد منهم تمرة ليأكل نصفها ويعطى المحتاج نصفها الآخر . فياله من إحساس بانسانية الانسان عندما يقوم بهذا العمل .

وإذا أكلنا لا نشبع ..

للدكتور محمد محمد أبو شوك

وعند الجوع والجلوس الى الطعام ، وحتى من رائحة الطعام ، تزداد عصارات المعدة وتأخذ المعدة عدتها لاستقباله ــ فتهضمه هضما جيدا بما فيها من عصارات كافية ــ وتكون كمية الحامض الذى بها من القوة بمكان ، حتى تقضى على بعض ما يحمله الطعام من ميكروبات ضارة بالجسم فلا تذهب الى الامعاء ولا تمتص بالدم وتسبب الامراض المختلفة .

وعند الجوع والجلوس الى المائدة ــ يزداد اللعاب فى الفم ــ وتتهيأ كل خلية فى الجسم للعمل على أنجاح عملية الهضم ، الم يلاحظ أكثرنا عندما يأكل طعاما لا رغبة له فيه ــ أو طعاما على شبع ، أن نفسه تتأفف منه ويحس وكأن حلقه وفمه جاف وبه شعور بغثيان ، بل وربما قام وتقيأ هذا الطعام ولفظه من فمه أو من معدته .

والأكل بعد جوع وراحة للجهاز الهضمى يجعل الاستجابة لدخول الطعام فى المعدة ومروره منها الى الامعاء أكثر فعالية وانتظاما فتسير عملية الهضم على أحسن ما يمكن أن تكون . وكذلك تكون عملية امتصاص المواد الغذائية ذات الفائدة للجسم ــ بذا يستفيد الانسان من طعامه ويتمتع به . وما أمراض المعدة التى نراها فى العيادة بالعشرات يوميا الا نتيجة لتناول الأطعمة فى أى وقت وبغير نظام ــ وعلى شبع أو على جوع . فالمعدة لا تستريح وبقية الجهاز الهضمى يعمل ليل نهار دون ما توقف ، فلا غرابة عند هؤلاء من ان يشكو مر الشكوى من آلام ، وغازات ، وإمساك ، واسهال .

« واذا أكلنا لا نشبع »

لو قيل لى كطبيب مارست المهنة اكثر من عشرين عاما ــ ما هو السبب الرئيسى للأمراض التى يعانى منها معظم الناس لقلت بلا تردد إنه

الشبع . الشبع هو سبب السمنة المفرطة التى يعانى منها الكثيرون ، وما تجره وراءها من مضاعفات ، وما أكثرها وأخطرها من مضاعفات — أمراض الشرايين وتصلبها ، انسداد فى الشرايين بما فيها جلطة القلب والمخ ، أرتفاع فى ضغط الدم ، مرض البول السكرى ، التهابات المرارة وحصى المرارة ، النزلات الصدرية ، آلام المفاصل — والفتق والدوالى ، قلة الحركة والخمول — الاضطرابات النفسية التى يعانى منها البدين ، كلها تكون قائمة طويلة من أمراض — تفتح لها عيادات ومستشفيات تعمل ليل نهار — لتستقبل العدد الهائل من هؤلاء المرضى .

وماذا نقول نحن الاطباء لاصحاب البدانة — خفف وزنك — اتبع حمية خاصة — لا تشبع . — ولمريض السكر — اتبع الطعام الخاص ، وحذار أن تشبع ويزيد وزنك ، ويزيد السكر فى الدم والبول . — ولمريض القلب ((اياك اياك — وزيادة الوزن — فهبوط القلب لك بالمرصاد اذا زاد وزنك)) — ولمرضى الجهاز الهضمى — كل من الطعام ما يكفيك ولا تملأ معدتك وتأكل على شبع فتزداد وطأة مرضك ، وحذار من الاطعمة الدسمة فانها تجر وراءها الاضطرابات الكثيرة من غازات كثيرة فى البطن وما يصحبها من مغص وآلام ، وأمساك — واضطرابات لا حصر لها .

أمراض الصدر والنزلات الشعبية وضيق التنفس — وعدم القيام بأى مجهود لصعوبة التنفس عند القيام به — كلها تزداد بالشبع — وبالتالى بزيادة الوزن .

وليذهب أى انسان وير بعينيه قسم العظام ، وعيادة العظام وما يتردد عليها من مرضى يشكون من آلام فى ظهورهم — والتهابات مفصلية ، تكاد تقعدهم عن العمل أو أقعدتهم حتى عن السير ، وجعلت منهم عالة على ذويهم . كله بسبب الافراط فى الطعام وزيادة الوزن .

ثم لماذا يرفض بعض الجراحين اجراء العمليات ويقدرون خطورتها على ذوى السمنة المفرطة ماذاك الا لأنهم أما أن يكونوا تعرضوا لامراض عدة — تجعل اجراء العمليات عليهم خطيرة أو أن دور النقاهة عندهم بعد العملية يكون محفوفا بالمخاطر والمضاعفات .

قابلت مسنا جاوز الثمانين ، وهو أنشط ما يكون ويتمتع بذاكرة قوية ، وحيوية فائقة — وسألته السؤال التقليدى ، أريد أن أعرف كطبيب سر كل هذا فقال على الفور ((لأنى لا أشبع ولا أدع للتخمة مجالا عندى وأنام مبكرا واستيقظ مع الفجر — أفطر على كوب من الحليب — وآكل قليلا من اللحم غير الدسم مع خضار وفاكهة مع الغذاء ، وكوب حليب فى المساء ، وأترك الطعام وأنا أحس أنى راغب فيه وأقبل عليه وأنا أحس بالجوع حقا)) ويستطرد يقول ((ما أحسست بتلبك فى أمعائى ولا أحتجت لدواء طوال هذه السنين — ولا قمت فزعا من نومى أشكو ألما فى بطنى وأنت كما ترانى نشيطا ، وما زلت أمارس أعمالى وكلى حيوية ونشاط)) ..

وكم من مسرف فى طعامه وشرابه شكا من ازدياد فى الحموضة والتهاب أو قرحة بمعدته ، وحصى فى مرارته ، واضطراب فى جميع أجزاء جهازه الهضمى ، ويحضرنى فى هذا المجال مريض زاد وزنه عن مائة وأربعين كيلو جراما ، تعرض لمعظم الامراض التى سردتها من قبل — ويرجع كل ذلك الى نهم فى الاكل عجز أن يوقفه ، ويتقيد بغذاء يقلل من

وزنه — وأخيرا هداه تفكيره وما قرأ من أخبار أن هناك عملية خاصة فى أمريكا لها أثر السحر فى انقاص الوزن — وفعلا سافر اليها واظهرتـــه الصحف الامريكية بجوار الطبيب الذى سيجرى له العملية ، وفعلا أجريت له العملية أزيل بواسطتها أكثر من ثلاثة أرباع أمعائه — ظنا من طبيبه أنه بهذه الطريقة يقل الامتصاص — وبالتالى يقل الوزن — وعاد صاحبنا بعد أن نقص حوالى ثلاثين كيلو جراما . وبعد ما يقرب من شهر أصيبت أمعاؤه المتبقية له بمرض سبب له اسهالا شديدا ، ونقص فى جميع المواد اللازمة للجسم لعدم قدرة هذا الجزء الباقى على أمتصاص ما يحتاج من مواد هامة للجسم وأعطى كل هذه المواد بواسطة الحقن ، ولكن أنى له أن يستجيب لهذا العلاج — وقد فقد جسمه كل مقاومة لأى ميكروب ، وبرغم كـــل العلاجات ، وكل المجهودات المبذولة فقد حياته .

وهل يخفى على كل ذى حجا ما يسببه الشبع من تخمة ويجعل الدم الذاهب الى المخ والجهاز الحركى يقل عن مستواه فيجعل من صاحب التخمة خاملا ، لا يكاد يعى ولا يكاد يتحرك .

حتى أمراض الجلد تتأثر بالشبع وزيادة الوزن ، ويلتهب الجلد فى أماكن عدة منه لا يجدى نفعا علاجها الا التقيد بطعام خاص ونقص فى الوزن .

وهذه الاموال التى تنفق على أقراص تخفيف الوزن بدون طائل — مع ما يكتنفها من دعاية تنفق فى سبيلها الأموال ، كله يضيع هباء — بل وفى بعض الاحيان يعود بالضرر على من يتعاطون هذه الحبوب من اضطرابات فى الاعصاب ، ورجفة فى اليدين ، وهبوط فى الضغط وأرق فى الليل — وكان من الممكن توفير هذا المال لاغراض يستفيد منها المجتمع ، والبعد عن مضار هذه الحبوب لو اعتدلنا فى تناول وجباتنا ولم نسرف فى طعامنا .

ورحم الله شيخنا الغزالى حينما تعرض للنهم والشبع ووصفه بأنه من المهلكات فى كتابه (أحياء عـــلوم الدين) فقال : —

((وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن ، فلا بد من كسر هـــذه الشهوة ، ومما يساعد على كسرها الا يأكل الانسان الا حلالا ، ولا يدع الاكل هدفا وغاية ، والافضل بالاضافة على الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل بالمعدة ولا يحس بألم الجوع)) .

من هذا يتضح جليا أنه كم من الامراض يكون سببها الشبع وتحمل للجهاز الهضمى مالا يطيق ، وكم من صاحب نهم بات يتلوى من ألم يفتك بأمعائه — أو بأى جزء آخر من جسمه ، وليته خفف من ألمه هـــذا ، من ألم جوع ألم بجاره أو بفقير محتاج ، فتسلم أمعاؤه ، ويدعو له جاره الفقير بالصحة والعافية .

وها نحن نستقبل شهرا كريما — هو شهر رمضان المبارك وما أحوجنا لأن نعى كلام الله ((وكلوا واشربوا ولا تسرفوا)) وأن نهتدى بحديث رسول الله : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » وليحذر كل منا الشبع والتخمة ، ولا يجعله شهر ولائم وحفلات ، يأكل ما لذ وطاب من طعام وشراب ناسيا حكمة الصوم الحقيقية ، وهى تطهير للأرواح وصحة للأبدان ، وتحمل للصبر ، وتهذيب للنفوس .

وفقنا الله للصيام الامثل صيام على تقوى وصلاح وإخلاص ، وبعد عن كل ما هو ضار للنفوس والابدان .

حوار رمضانى

للأستاذ محمّد الخضري عبد الحميد

صوت ١ رمضان اسم لا يذكر الا وتخفق القلوب وتنتشى الافئدة ، وتطرب كل جارحة وخلجة فى الابدان .
ان لـ (رمضان) لجاذبية خاصة وسحرا معينا الى جانب ما له من مكانة وجلال ، فيه تخشع النفوس ... تعنو الوجوه الى بارئها تحلق الارواح ، وتزداد شفافية وصفاء ... يهفو كل وجدان الى المزيد من الصفاء والسمو ... على أن لـ (رمضان) الكريم خصائص أكبر وأمجادا أعظم وأكثر ... هلا تحدثنا قليلا فى هذه المكرمات الكبار التى اختص بها الشهر المبارك ؟

صوت ٢ بكل سرور ، وأحب أن أضيف أن لشهر رمضان مكانة عظمى فى التاريخ الاسلامى فهو الشهر الذى شرفه الله عز وجل بنزول القرآن الكريم فيه على نبى الهدى والحق (محمد) عليه الصلاة والسلام ، وفيه شرع الصوم تكريما له وتعظيما .

صوت ١ حقا ولكن يقال ان (رمضان) يقترن عند المسلمين بخاصة والعرب بعامة بالانتصارات الخالدة والامجاد الكبيرة الباهرة .

صوت ٢ هذا صحيح رمضان هو بحق شهر الانتصارات العظيمة والبطولات الهائلة فى رمضان سنة / ٢ هجرية وقعت غزوة (بدر) التى قاتل فيها النبى محمد جيوش المشركين وهم كثرة كاثرة يفوقون جيش المسلمين فى العدد والعدة ... ولكن الله نصر المؤمنين بايمانهم على قوة الضلال ، وعلى كل تلك الكثرة التى يسندها البغى والعدوان ... وكان من آثار ذلك النصر المؤزر استقرار الدعوة الاسلامية فى بلاد العرب ... وفى السنة الثامنة للهجرة تم للنبى وجنده فتح مكة ، وانتشر الاسلام فى شبه الجزيرة العربية ، ثم راح يبسط نوره الغامر الوضاء على كل البقاع والاصقاع .

صوت ١ سؤال هل اكتسب (رمضان) كل هذه الرفعة وهـذا السمو بظهور الاسلام فحسب ؟

صوت ٢ هذا سؤال وجيه وعندى له اجابة قد تبدو غريبة .. كتب الاديب العربى عباس محمود العقاد يقول (ان شهر رمضـان قديم الحرمة حتى فى الجاهلية قبل أن يشرق نور الاسلام ... كان يسمى فى الجاهلية كما يقول العقاد باسم (الناتق) أو (الناطل) من الناقة الناتق أى كثيرة الولادة أو من (الناطل) وهو كيل السوائل ولا تزال كلمـة الناطل تفيد معنى قريبا من هـذا المعنى .
أن تجعله موسما من مواسم الخصب والعطاء .
تجعله موسما من مواسم الخصب والعطاء .

صوت ١ هل تحدثنا عن موقف من مواقف الرسول الخالـدة كان فـى رمضان ؟

صوت ٢ بالطبع المواقف كثيرة وكلها رائعة ناصعة خذ مثلا تلك اللفتة المحمدية الكريمة فى غزوة بدر وقف النبى عليه صلوات الله وسلامه يستعرض رجاله ، ويتأهب واياهم لخوض واحدة من غزواته الكبار رأى رجلا بارزا عن الصف وكان اسم ذلك الرجل (سواد) فقرّب منه السهم برفق ، وهو يقول له (استوَ يا سواد) ولكن (سواد) لدهشة كل الرجال الواقفين حوله قال للنبى (لقد أوجعتنى يا رسول الله فدعنى اقتص لنفسى منك) .

صوت ١ يا لجرأته العجيبة فماذا فعل النبى ازاء ذلك الادعاء ؟

صوت ٢ مهلا لم يكن اوجعه قط بالطبع هذا مفهوم ... فما مسة خفيفة على كتف رجل محارب ؟ ومع ذلك فالذى فعله النبى أدعى الى الدهشة حقا ، وان كان لا يدهش فى شىء مطلقا لان محمدا كان أبا العدل والحق ... كشف النبى عن بطنه وقال (اضرب يا سواد) .

صوت ١ ويح سواد ماذا فعل ؟

صوت ٢ انكفأ عليه (سواد) كالجائـع الظامىء يشبع ذلك الموضـع المكشوف تقبيلا ولثما .. دهش المصطفون ببدر جميعا ..

حتى النبى الكريم نفسه دهش أيضا .. فقد سأله (ما حملك على هذا ؟) أجاب سواد (لقد أردت أن يكون آخر العهـد بك أن يمس جلدى جلدك) فدعا له النبى بخير .

صوت ١ ما أروع ذلك حقا ... قبل أن أنسى ... يطيف بالذهن ونحن

اليوم نرى وسائل حضرية مخصصة لاعلان الافطار والسحور والامساك سؤال ... السؤال هو — كيف كانت تلك الوسائل الضابطة للتوقيت والمعلنة عنه فى أيام العرب الأول .

صوت ٢ ذكر البشارى ، وهو أحد رجال القرن الرابع الهجرى — أن من عجائب العالم الاسلامى (رمضان مكة) وفى هذا وصف ابن جبير الكنانى روعة رمضان فى مكة فقال :
(كانوا يؤذنون بالصيام بقرع الطبول ... كانوا اذا اقبل الشهر المبارك يتصافحون ويهنىء بعضهم بعضا ويتغافرون ، ويلجأ أهل مكة الى (الفرقعة) يضربونها ثلاث ضربات عند الفراغ من اذان المغرب ، ومثلها عند الفراغ من أذان العشاء ، وهى عود مخروط أحمر وقد ربط فى رأسه حبل من الأديم الفتول رقيق طويل ، فى طرفه عذبة صغيرة ينفضها ممسك الفرقعة بيده فى الهواء ، فتأتى بصوت عال يسمع فى داخل الحرم وخارجه ، وكانت تستعمل فى غير رمضان فى صلوات الجمع وحدها ..

صوت ١ هذا عند الافطار فماذا عن السحور ؟

صوت ٢ فى السحور كانت هناك أشياء رائعة حقيقية لكن ..

صوت ١ هات ما عندك فالحديث ممتع ومشوق ..

صوت ٢ أما عن السحور فى مكة القديمة ، فقد كان يتولى التسحير المؤذن الزمزمى فيقوم فى وقت السحور داعيا ومذكرا للسحور ومعه أخوان صغيران يجاوبانه ، وقد نصبت فى أعلى صومعة المسجد خشبة طويلة فى رأسها عود كالذراع وفى طرفيه بكرتان صغيرتان يرفع عليهما قنديلان من الزجاج كبيران لا يزالان مشتعلين مدة التسحير ..
فاذا جاء الامساك حط المؤذن القنديلين من فوق الخشبة ، وشرع فى الأذان فمن لا يسمع الأذان ينظر الى مكان القنديلين ، وقد انقطع ضوؤهما ، فيعرف الوقت ، ويحدد بذلك بدء صومه ..

صوت ١ لكم كان ذلك بديعا ، هم العرب معلمو الاجيال وصناع التاريخ ..

صوت ٢ وعلى ذكر العرب وأمجادهم الخوالد ... هل أقول لك شيئا آخر موجزا عن انتصاراتهم الضخمة فى رمضان بالذات ؟

صوت ١ بالله قل .. فلا أجمل ، ولا أمتع من ذلك حديثا ..

صوت ٢ كتب المؤرخ العربى عبد الرحمن الرافعى فقال (ثمة حوادث أخرى هامة وأعمال عظمى حدثت فى رمضان .. منها — مثالا لا حصرا ، والاعوام هنا بالتقويم الهجرى .
* فى رمضان من سنة / ٥٣ فتح العرب جزيرة (رودس) .
* فى رمضان / ٩٢ قاد طارق بن زياد جيشا لفتح الاندلس فنزل جيشه جبلا هو المسمى الآن جبل طارق ، والتقى بجيش

الملك فريدريك فى معركة فاصلة انتهت بانتصار العرب ، ودانت الاندلس للفتح العربى ...

* فى رمضان / ٣٦١ تم بناء الجامع الازهر بالقاهرة فى عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ..

* فى رمضان / ٥٨٤ قاتل صلاح الدين الايوبى الافرنج وحاصر قلعة (صفد) فى سوريا حتى سلّمت .

* فى رمضان / ٦٥٨ هزم الجيش المصرى جيوش التتار فى فلسطين كما هزمهم أيضا مرة أخرى بقيادة الظاهر بيبرس فى رمضان / ٦٦٦ ومرة ثالثة فى رمضان كذلك عام / ٧٠٢ وأسر منهم هذه المرة نحو عشرة آلاف أسير .

صوت ١ يا لروعة كل هذا ..

صوت ٢ أرأيت كيف أن لرمضان الكثير ما يستطيع أن يفخر بـــه ، ويزهو بين الشهور ؟

صوت ١ حقا والآن ...

صوت ٢ آه ... أعرف أن الحديث قد طال شيئا ما ، وكثرت فيه التواريخ والارقام ولكن ...

صوت ١ لا ، ولكنى فقط كنت أفكر فى أن نختم حوارنا هذا الرمضانى الطريف ببعض الطرائف من الاقوال التى تتصل مثلا بالطعام فى رمضان ... سمعت أن أفضل ما يفطر عليه الصائم الماء المحلى بالسكر فما الحكمة من هـــذا ؟

صوت ٢ يحتاج الجسم الى السكر وعندما يحين الافطار يطلب الجسم تعويض ما نقص لديه من السكر فاذا أقبل الصائم على الافطار بأنواع من الاطعمة الاخرى التى لا تحتوى عليـــه يكون برغم امتلاء بطنه بالطعام كمن لا يزال يواصل صيامه .

صوت ١ تذكرت شيئا هاما طبق الفول ، لون أساسي وصنف رئيسى على مائدتنا فى رمضان ، هل من طرفة أو لمحـــة عن (طبق الفول) ؟

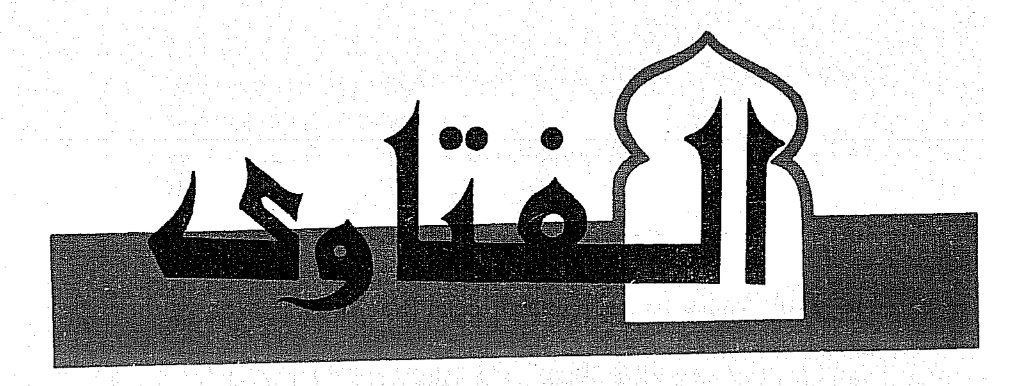
صوت ٢ ربما كثيرون لا يعلمون أن (فول رمضان) عريق الشهرة فقد عرف منذ نحو نيف وألف سنة باسم (الباقلاء) ومن الطـــريف حقا أن ما ينسبه البعض الى الفول أحيانا من أنـــه مثبط لهمم العقول الذكية كان يحدث تماما مثله فى ذلك الزمن البعيد .

صوت ١ كيف ؟ إلى هذا الحد ؟

صوت ٢ نعم ولنا أن نتصور أن ذلك كان يحدث فى القرن الثانى الهجرى فقد روى صاحب (عيون الاخبار) أن رجلا من قدماء الاطباء قال ان الفول اذا أدمن أكل البصر ، وأحال الاحلام أضغاثا ولا يجد عابر الرؤيا الى تأويلها سبيلا .

صوت ١ ما أعجبها تهمة قديمة جديدة تلصق بالفول ..
على أية حال كل عام وأنت طيب ..

صوت ٢ وكل أمة العرب والاسلام .. بخير .



يجيب على هذه الأسئلة فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف :

علاج الضرس فى الصيام

السؤال :

شخص اشتدت آلام ضرسه وهو صائم فاضطر لوضع بعض مواد طبية عليه مثل روح القرنفل ، فهل يفطر بذلك ؟

الجواب :

لا يفسد الصوم عندنا بوضع شىء من الزيت المعروف بروح القرنفل فوق الضرس ، وان وجد الصائم طعمه فى حلقه . وفى المحيط : « طعم الأدوية وريح العطر اذا وجد فى حلقه لا يفطر » أ هـ بل لو وضع فى ضرسه ثمر القرنفل ولم يدخل فى جوفه لا يفطر .

النزيف فى الصيام

السؤال :

رجل ينزف من أنفه ولو بقى أثناءه معتدل القامة يستنفد ذلك منه دما كثيرا ولو استلقى على ظهره حسب نصيحة أهل الخبرة يتسرب الدم الى حلقه ، فما حكم صومه شرعا ؟

الجواب :

سألت طبيبا فاضلا فأخبرنى بأن انقطاع النزيف من الأنف لا يتوقف على الاستلقاء على الظهر ، بل يمكن قطعه باستنشاق الماء البارد فى الوضع العادى بدون استلقاء ، فلا ضرورة تدعو الصائم الى الاستلقاء وقت النزف حتى ينصب الدم فى حلقه فيفطر بابتلاعه .

لذلك نفتى السائل بأنه ما دام فى الامكان علاج النزف باستنشاق الماء البارد ، لا يجوز الالتجاء الى الاستلقاء الذى يفضي الى الافطار ، فاذا تفاقم الأمر وقرر طبيب حاذق ضرورة اتخاذ وسيلة أخرى للعلاج والانقاذ تؤدى الى الافطار ، كان هذا الصائم من أرباب الأعذار ، فيفطر وعليه القضاء .

الحقنة الشرجية فى رمضان

السؤال :

هل الحقنة الشرجية مفطرة للصائم ؟ .

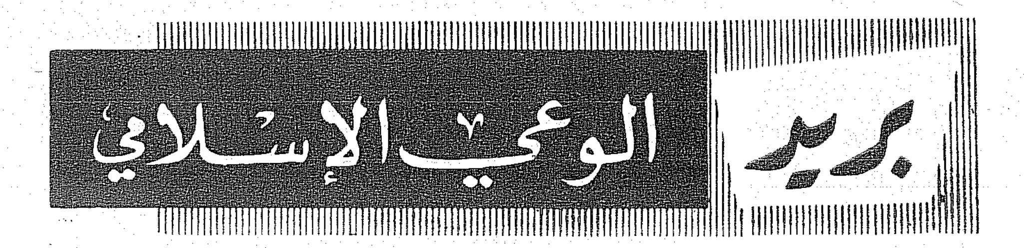
الجواب :

الحقن فى الشرج هو ادخال أى مادة سائلة من فتحة الشرج الى الأمعاء الغليظة ، اما بقصد طرد الفضلات وهى التى يستعمل فيها عادة البابونج أو الماء والصابون ونحوه مما لا يمكث فى الأمعاء الا يسيرا ثم يقذف مع الفضلات من هذه الفتحة ، واما بقصد امداد الجسم بالغذاء أو الدواء أو السائل فى الحالات المرضية التى يتعذر فيها اعطاء هذه المواد من طريق الفم أو حقنها فى الوريد أو العضل أو تحت الجلد ، وفى هذه الحالات تترك هذه المواد حتى تمتص . هذا ما قاله الأطباء .

وكيفما كان فادخال هذه المواد السائلة من فتحة الشرج الى الأمعاء مفطر شرعا باتفاق فقهاء المذاهب الأربعة اذ الأمعاء من الجوف كالمعدة وسائر الجهاز الهضمى ، وما يدخل فيه اختيارا مفطر ، لحديث (الفطر مما دخل) رواه أبو يعلى فى مسنده مرفوعا عن عائشة وذكره البخارى تعليقا فقال : وقال ابن عباس وعكرمة الفطر مما دخل وليس مما خرج والمراد الدخول من المنافذ المعروفة بدلالة العرف .

وقد نص الحنفية على أن من احتقن أفطر ووجب عليه القضاء ولا كفارة عليه فى الأصح ، وفسروا الاحتقان بصب الدواء فى الدبر بواسطة الحقنة ، وبمثله قال الحنابلة كما فى المغنى ، والشافعية كما فى المجموع ، والمالكية كما فى الشرح الكبير ، « وان خالفوا الطب بقولهم ان السائل يصل بالحقنة الشرجية الى المعدة » . .

وفى المجموع للنووى ان هذه الحقنة مفطرة على المذهب سواء كانت قليلة أم كثيرة وسواء وصلت الى المعدة أم لا ، وبه قطع الجمهور ونقله ابن المنذر عن عطاء ، والثورى وأبى حنيفة وأحمد واسحاق ، وحكاه سائر الاصحاب عن مالك ونقله المتولى عن عامة العلماء .



أول ما نزل من القرآن

السـؤال :

ضمنا مجلس وأختلفنا فى أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل منه ونرجو بيان الرأى الصحيح ...؟

عبد الفتاح جلول — ليبيا

الجـواب :

هناك أقوال كثيرة فى بيان أول ما نزل من القرآن الكريم والذى رجحـه العلماء أن أول ما نزل هو الآيات الخمس الاولى من سورة العلق (اقرأ باسـم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) .

وكذلك اختلفوا فى آخر ما نزل من الكتاب الكريم ، والذى رجحه العلماء أن آخر الآيات نزولا قول الله تعالى فى سورة البقرة (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .)

أسباب النـزول

السـؤال :

قرأت فى احد التفاسير أن الآية الكريمة (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل مـا عوقبتم به) الى آخر السورة نزلت فى غزوة أحد وفى تفسير آخر قرأت أنهـا نزلت فى فتح مكة فأيهما أصح ..؟

عدلى السيد — الاردن

الجـواب :

أخرج البيهقى والبزار عن ابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به فقال (لأمثلن بسبعين منهم مكانك) فنزل جبريل عليه السلام والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بخواتيم سورة النحل .

وأخرج الترمذى والحاكم عن ابى بن كعب قال — لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة . منهم حمزة فمثلوا به ، فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا (لنزيدن) عليهم فلما كان يوم فتح مكـة أنزل الله (وان عاقبتم) الآية .

فالرواية الاولى تفيد انها نزلت فى غزوة أحد والثانية تفيد انها نزلت يوم فتح مكة .

ويرى العلماء أن الآية نزلت مرتين مرة يوم أحد ومرة يوم الفتـــح وانه لا مانع من ذلك وان لتكرار النزول حكمة جليلة وهى تعظيم لشأن المكرر وتذكير بـــه وتنبيه الى ما فيه من الوصايا النافعة .

دولة البحرين

السـؤال :

تلقينا بمزيد السرور والبهجة اعلان استقلال دولة البحرين الشقيقة ، ومع تمنياتنا للبحرين حكومة وشعبا التقدم والازدهار ، نرجو أن تنشروا لنا نبـــذة يسيرة عنها.

آدم عبد الحق ــ نيجيريا

الجـواب :

تتألف من مجموعة من الجزر فى الخليج العربى ، بين قطر والاحســـاء ، (مساحتها ٥١٨ كيلومتر مربع ، وأكبرها جزيرة البحرين ، وطولها ٤٨ كـــم ، وعرضها ١٦ كم . بها عيون ماء عذبة . ويتصل بالجزيرة جزيرة المحرق ، وفيها مطار كبير . ومن الجزر الأخرى : النبى صالح ، وصرة ، وأم نسعان . وعاصمة الدولة : المنامة ، وسكانها أكثرهم عـــرب ، ومنهم جاليات ايرانية وهنديـــة واوروبية ، واشتهرت البحرين قديما بصيد اللؤلؤ ، وتنتج اليوم كميات ضخمة من النفط الذى بدأ انتاجه (١٩٣٢ م) . ويتولى امارة دولة البحريـــن حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى آل خليفة .

دولـــة قطر

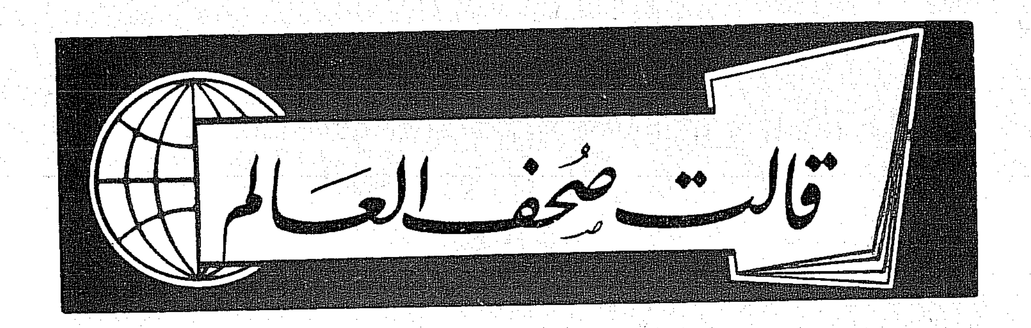
السـؤال :

نبعث بأصدق تهانينا لدولة قطر الحديثة بمناسبـــة اعلان استقلالهـــا وانضمامها لجامعة الدول العربية وهيئة الأمم ، ونطلب بعض المعلومات عـــن هذه الدولة الشقيقة .

عز الدين هانو ــ تايلاند

الجـواب :

دولة قطر : مساحتها ٢٢٠١٤ كم مربع ، تحتل شبه جزيرة ناتئة فى الخليج العربى ، عاصمتها : الدوحة ، وتتناثر فيها واحات قليلة ، ومعظم سكانها من العرب يتبعون مذهب ابن حنبل ومالك ، وتقع الدوحة فى منتصف المسافة بين خور العدن ورأس لفان . وكانت تعرف باسم البدع ، وهى حديثـــة العهـــد ، أسسها محمد بن سعيد آل أبى كوارة ، شيخ قبيلة أبى كوارة ١٨٤٦ ، ثم غادرها ونزل بها من بعده الشيخ محمد بن ثانى . وتتصل الدوحة اتصالا منتظمـــا بالبحرين ، وبالشارقة وأبو ظبى ، وبها مطار . وتنمو أشجار النخيـــل فى بعض واحاتها ، ويشتغل بعض الأهالى بصيد السمك واللؤلؤ . وبدأ استغلال آبـــار الزيت فى منطقة الدخان فى أواخر ١٩٤٩ ، وأهم موارد الدولة عوائد الزيت . شـــيد فى الاعـــوام الاخيـــرة عدد من المـــدارس والمستشـــفيات ، ومحطة للكهرباء ، وأخرى للمياه . وتنتشر فى القرى المدارس والمكاتب لتحفيظ القرآن . ويتولى امارة دولة قطر حضرة صاحب السمو الشيخ أحمد على آل ثانى .



الالتزام بالاسلام يوفر الاستقرار

كتبت مجلة (المجتمع) الكويتية فى احدى افتتاحياتها حديثا عن أوضاع العرب وادعاءات الصحافة الغربية قالت :

ان مقوماتهم الحضارية — تعنى العرب — تلزمهم بالنضج العقلى والعاطفى ، وتلزمهم بالمسئولية وهم يناقشون قضاياهم ويعالجونها . والتاريخ يؤكد هذا ...

يؤكد أن العرب — قبل الاسلام — أكلتهم الحروب — على أى مستوى كانت — ومزقتهم الخلافات العصبية والقبلية فلما جاء الاسلام بدل خوفهم أمنا .. واضطرابهم استقرارا ، وفتنهم وداعة وسلاما .

والخط البيانى فى تاريخهم الاسلامى يثبت أنه بقدر التزام العرب بالاسلام تكون نسبة استقرارهم صعودا وهبوطا ..

والالتزام بالاسلام الذى يوفر الاستقرار .. والتفلت منه الذى يسبب الفتن والاضطرابات هذا وذاك تفسير واقعى لقول الله سبحانه فى قرآنه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

ان تفلت العرب من الاسلام حملهم تبعات خطأ خطير مزدوج ، فالتفلت من الاسلام جعلهم يستوردون عقائدهم وأفكارهم وحلولهم للمشكلات والقضايا من الخارج ، ودون وعى ولا حاجة ..

واستطردت المجتمع قائلة :

والتفلت من الاسلام جعل العرب يتحملون تبعة التهمة الموجهة الى دينهم . وانه هو السبب فى تخلفهم ، أى أن تفلتهم من الاسلام أضر بهم كشعب يحيا فى هذه الارض .

وأضر باسلامهم كدين .. أى أنهم شوهوا جمال أنفسهم ببعدهم عن الاسلام ، وشوهوا الاسلام اذ قدموه للآخرين فى صورة فتن وقلاقل واضطرابات .

ولا سبيل الى حياة آمنة مطمئنة ، ولا سبيل الى تقديم صورة مشرقة عن الاسلام ، الا بالالتزام بهذا الدين ، فمن يقدم على هذه الخطوة يا رجال ..؟

فى التربية الخلقية

وكتبت مجلة (صوت الجامعة) الهندية فى افتتاحية لها قول تحت عنوان « فى التربية الخلقية » :

ونظرا الى أهمية الاخلاق فى حياة الفرد والمجتمع ، ونظرا الى أن اصلاح المجتمعات وفسادها منوطان بأخلاق أفرادها ، فقد دعا الاسلام الى التربية الخلقية ، وتهذيب الارادة ، واختيار الفضيلة ، والغرض من التربية الخلقية هو ايجاد حياة طاهرة مقدسة ، ملؤها الاخلاص والطهارة ، وتكوين

رجال كريمى الاخلاق ، أقوياء العزيمة ، مهذبين فى أقوالهم وأفعالهم ، نبلاء فى تصرفاتهم وخلقهم ، ولقد أجمع علماء التربية وفلاسفتها على أن الغرض الخلقى الذى يجب أن يرمى اليه المربى هو الغرض الحقيقى من التربية التى يصح أن يطلق عليها ذلك الاسم .

والخطوة الاولى : والمهمة فى مجال التربية هى تربية الفرد ، ولقد أعار القرآن هذه الناحية عناية عظيمة ، حيث احتوى فصولا وآيات كثيرة جدا فى الحدود التى ينبغى للمسلم أن يسير فى نطاقها ، والاخلاق والصفات التى يجب أن يتحلى بها ، والمواقف التى ينبغى أن يقفها فى مختلف أدوار حياته ، وقد توخى فى كل ذلك أن يكون المسلم — كفرد — على أفضل ما يجب أخلاقا واستعدادا للقيام بواجبه نحو نفسه ، ونحو غيره ، ونحو مجتمعه ، ليضمن لنفسه ولغيره ولمجتمعه معا القوة والسعادة والطمأنينة والاحترام .

والحكمة السامية فى هذه العناية واضحة ، فالأفراد هم الخلايا التى يتألف منها المجتمع ، وليس من المعقول أن يكون المجتمع قويا نشيطا صالحا سعيدا اذا لم يكن أفراده أو غالبهم متصفين بالصفات والاخلاق التى تساعد على ذلك ، وكلما كانوا متخلقين بكريم الاخلاق مجانبين الرذائل والفواحش والمنكرات ، مقدرين ما لحسن الاخلاق وسوئها من أثر فى كيانهم الخاص والعام ، غير متجاوزين الحدود التى رسمها الله لهم — ساد الوئام والسلام والحق والعدل ، وكان المجتمع صالحا قويا سعيدا متمكنا .

وما يحدث كل يوم فى بلاد الغرب ، وما أخذ يحدث فى الشرق الاسلامى من مآسى وفواجع وشرور وآثام وانفعالات تؤدى الى محرج المواقف وازهاق الارواح ، وهتك الاعراض ، وانهدام كيان الأسرة من جراء الغلو ، والافراط فى التبرج والتبذل ، والاختلاط الواسع المنكر ، يمكن أن يكون شاهدا صادقا على الحكمة السامية الخالدة التى تضمنتها الآداب والتلقينات والمبادىء القرآنية ، التى تمنح كل ذى حق حقه ، وترسم لكل أمر نطاقا يدور فيه من غير افراط وتفريط ، ولا تترك العناصر الشريرة تدوس الآداب والمثل بالرجل ، وتنشر الاباحية والفوضى باسم الحرية .

لقد بلغت الانسانية فى هذا العصر حدا من التقدم والرقى فى الحضارة والمدنية ، ولكنها لم تقابل هذا التقدم المادى بتقدم روحى يريها حقائق الوجود ، ويفتح أمامها أسرار الحياة .

وهذا التقدم المادى قد سيطر على الانسان ، وهذه المادية قد اكتنفت حياته منذ بداية القرن التاسع عشر ، والواقع أنها هى المسئولة أساسا عن تهيئة البيئة لعوامل الانحراف النفسى والسلوكى ، وبدعم من التقدم العلمى والفنى تزحف هذه الحضارة المادية على كل البقاع ، وتنشر رسالتها عن قصد أو غير قصد ، وهى تهدف الى تحطيم المعانى والمثاليات ، والى تجريد الاشياء من كل قيمة عدا قيمتها التى تقدر بالمال ، فالانسان فى هذه الحضارة يقدر بالمال ، والحياة تقدر بالكسب المادى ، دون أن يدخل فى الحساب عمل من أعمال الخير أو لحظة من لحظات الحب والتضحية ، فكيف يمكن أن يهتم مجتمع هذا شأنه بالدين وبالاخلاق ، وكيف يمكن أن يرتفع فيه مستوى الانسان الروحى فيعمل لنشر الفضائل بين الناس ، ويسعى للقضاء على مظاهر الفجور والاستهتار ؟

ومن الآثار الوخيمة لهذا التفكير المادى أنه عطل فى الناس شعور الرحمة والبر والتسامح ، والوئام والاخوة الانسانية وكاد يميت فى الانسان — أو أماته فعلا — الضمير الذى يمكن أن يمد صاحبه بنوازع الخير والبر والحق والانصاف .

ثم ان المادية لعبت دورها فى شئون الجنس ، فأصبح الجنس يعنى الاغراء ، وفقدت الشهوة معنى الحب الذى ملأ قلوب الناس ، واتجه بهم الى السماء والرسل ، وعلمهم كيف يعيشون حياة طاهرة مطمئنة .



من اشراقات الصيـــام

ومن كلمة لسماحة الدكتور السيد عبد الله بن عبد القادر بلفقيه العلوى — يقول فيها :

لقد جاء شهر رمضان أو كاد أنه على الباب فأهلا به ومرحبا بمقدمه انــه شهر الصيام والقيام وشهر العبادة والسعادة فياله من شهر ملأ قلوب المؤمنين ايمانا وتقوى وعبودية للحى القيوم . فالمؤمن حقا لا يخالجه أدنى ريب فيما وراء الاوامر والنواهى مما أمره الله ونهى عنه من حكم بالغة وأهداف سامية تعود على الجميع فردا ومجتمعا منافعها وفوائدها فى جميع مرافق الحياة الانسانية وهكذا كان لفرض صيام رمضان من حكم وأهداف ما نعرف ومـــالا نعرف ومـــا سينكشف لنا بعد تقدم علومنا ومعارفنا .

هكذا يقول المؤمنون وأما غير المؤمنين الذين لا صلة لقلوبهم بالايمان بالله وما لله من قدرة وارادة فلا يتراءى لهم من الصوم الا الجوع والعطش والاجهـــاد بما لا ينفع ولا يفيد . فما أبعدهم فى الضلال المردى والخطأ المهلك ولقد قال الله سبحانه وتعالى مخاطبا المؤمنين فى القرآن الكريم .

((يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)) (البقرة — ١٨٣) .

فظاهر من هذه الآية أنه تعالى خاطب المؤمنين وأخبرهم بأنه فرض عليهم الصيام كما فرض على الامم قبلهم من المؤمنين طبعا ، لماذا ؟ لعلهم يتقون ويزداد ايمانهم وعبوديتهم للواحد القهار . وأما غير المؤمنين فقد أهدرهم الله وتركهـــم وما خاطبهم لأنهم لم يؤمنوا به فكيف بأوامره ونواهيه .

وأما ما كان للصيام من حكم فأول ما يتبادر الي الذهن بعد كشف ما تحته من أسرار هو أن الصوم أداة تربوية جثمانية وروحانية فتربى الانسان على الصبر فى تحمل ما يلاقيه فى هذه الحياة من المشاق والمتاعب والمشاكل كصبره فى تحمل آلام الجوع والعطش وجه نهاره فلا ينى ولا يقنط ولا ييأس اذا دهمته داهية أو اعترضته مصيبة بل يصبر ويثابر على العمل بواجباته ويتوكل على الله حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

ومن حسنات الصوم فى المجال التربوى جثمانية كانـــت أو روحانيـــة أن صيام المؤمن ينمى فى قلبه الشعور والحساسية بما يلاقيه المعوزون والمقلـــون فى المجتمع من الجوع والعطش والعرى فيلين قلبه ويعطف على أخيه المعـــوز

الفقير فينبعث منه الايثار والرحمة ويسارع لتلافى هذه الظاهرة السلبية فى المجتمع .

ولهذا كان مما ينبغى على المؤمن عند ما يبدأ الصوم أن يحسن نيته ويخلصها الاخلاص كله لوجه الله ويزكى نفسه من جميع الادران والخصال غير المحمودة ليأتى صومه بثمراته المطلوبة وحكمه المرجوة حتى لا يكون هدرا وعبثا ليس وراءه الا العطش والجوع .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى وجوب اعداد النفس بالنيات الخالصة عند الصوم ((جاءكم شهر رمضان المبارك فقدموا فيه النية ووسعوا عليه النفقة)) رواه الديلمى عن ابن مسعود قال المزى فى التنبيه اسناده صحيح .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش)) . رواه النسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة . قال ابن أبى حاتم فى الاقتراح اسناده صحيح .

توحيد الصيام والأعياد الاسلامية

من كلمة للأستاذ : محمد بلى الفوتى المشرف على الشئون الاسلامية فى توجو ـ غرب افريقيا ـ يقول فيها :

ان خير ما أرشدنا به النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر الصيام واثبات شهر رمضان قوله : صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين .

فقد ربط النبى صلى الله عليه وسلم ثبوت الشهر بهذه العلامة الحسية وعلق وجوب الصوم على تحقيق الرؤية البصرية ، أى رؤية الهلال بعد غروب الشمس فى اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان .

أما اذا كانت رؤية الهلال فى ذلك اليوم مستحيلة طبيعية بأن كان القمر لم يتم بعد دورة كاملة يتحقق بعدها الاجتماع ثم الانفصال الذى يسمى (الميلاد) أو كان هناك عارض من العوارض الجوية التى تحول دون رؤية الهلال ، فقد أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم الى ما يتبع فى ذلك ، فأمر باكمال شعبان ثلاثين يوما . وحينئذ لا يكون المسلمون فى حاجة الى تفقد الهلال فى اليوم التالى ، لأثبات شهر رمضان ، غير أن هناك أمرا مهما يجب الالتفات اليه ، والفصل فيه ، بحكم ، يقطع الاختلافات التى تقع كثيرا بين أهل الاقطار الاسلامية فى اليوم الذى يبدأ فيه الصيام . ذلك أن بعض هذه الاقطار قد يتيسر لأهلها رؤية الهلال فى حين أنه تتعذر رؤيته على أهل قطر آخر .

فهل ـ والحالة هذه ـ يجوز أن يعتمد أهل هذا القطر الثانى على ما يبلغهم من تحقيق الرؤية ببعض الاقطار الأخرى فيصوموا معهم من أول أيام صومهم فيتوحد بذلك مظهر المسلمين فى أداء فريضة هذا الركن الرابع من أركان الاسلام الخمس ؟

حقا أن موقع البلاد على الكرة الأرضية مختلف شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، واختلاف هذه المواقع يوجب بالضرورة اختلافا وتفاوتا فى المواقيت فقط ، ولذلك لا يمكن توحيد مواقيت الصلوات اليومية ، ولا أوقات الامساك والافطار فى رمضان فى جميع الأقطار الاسلامية ، ما دامت الاوضاع قاضية بتفاوت تلك المواقيت ، ولكن اختلاف مواقع البلدان ليس له مثل هذا الأثر البالغ فيما يرجع الى اثبات الأهلة ، فانه ليس بين الاقطار الاسلامية الشرقية والغربية تفاوت بمقدار يوم كامل كما تقدم . واذن فيجوز أن يتفق أهل هذه الاقطار على توحيد أول أيام الصيام ، وذلك بالاعتماد على رؤية الهلال وثبوتها ثبوتا جازما فى أى قطر من الاقطار الاسلامية .

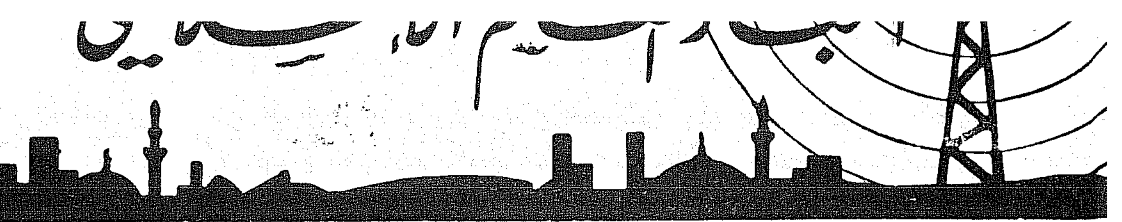
ومن هنا اختار بعض أئمة الفقه في المذاهب الأربعة عدم اعتبار اختلاف المطالع فى اثبات أول رمضان وهو ملحظ قوى ، ووجهة نظر سديدة ، ويزيد ذلك قوة وسدادا أن توحيد بدء الصيام والاعياد الاسلامية من أقوى العوامل على توثيق الروابط بين الأمم الاسلامية فى جميع أقطار الارض وجمعهم على كلمة واحدة والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون الى عوامل التآلف ، وتوحيد الكلمة .

فقوله عليه الصلاة والسلام : (صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته) خطاب عام للأمة الاسلامية جميعا فى ايجاب الصوم على جميع المكلفين المسلمين متى تحققت رؤية الهلال .

فان الحديث لم يذكر فاعل المصدر الذى هو (رؤية) بل أتى بهذا المصدر على طريقة الفعل المبنى للمجهول ، فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول : صوموا اذا رئى الهلال ، لا فرق بين قطر وقطر فيما يرجع الى ثبوت الهلال ، كما أنه لا فرق بين بلد وآخر من قطر واحد .

وأما قوله تعالى : ((فمن شهد منكم الشهر فليصمه)) فمعناه من حضر منكم شهر رمضان وأدرك زمنه ، وكان أهلا للتكليف بالصوم فليصمه ، فان الشهود فى الآية الكريمة ليس معناه الرؤية باتفاق المفسرين ، فالأعمى والبصير سواء فى ايجاب الصوم . هذا البيان لا يقتصر أمره على هلال شهر رمضان فحسب ، بل الحكم كذلك فى ثبوت جميع الاهلة وخصوصا هلال ذى الحجة اذ أن يوم (عرفة) وهو اليوم التاسع منه ظرف محدود لأداء ركن الحج ، وهو الوقوف بعرفة ، وهو لا يدور الا مرة واحدة فى السنة . وأكثر الحجاج لا يحجون الا مرة فى العمر ، فلعلهم أن أخطأهم الوقوف في يومه الحقيقى يخشون أن لا يكونوا قد أدوا الفريضة عن أنفسهم . فيجب اذا على الدول الاسلامية كلها أن تبذل عنايتها وجهدها فى التماس الهلال ، وتحرى رؤيته ، بعد غروب اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، مع الاتفاق فيما بينها على أن تعلم بعضها بعضا بنتيجة ذلك التحرى ، وعلى وجوب الاعتماد على ثبوت رؤية أية دولة من تلك الدول الاسلامية لهلال رمضان أو غيره . ولا شك أنه لا يمكن أن تفوتها جميعا رؤية الهلال ، وبهذا يتم توحيد بدء الصيام والأعياد الاسلامية بين المسلمين فى العالم أجمع على نص الحديث الصحيح : (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته) .

وفى الختام نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا جميعا الى ما فيه خيرنا واصلاحنا فى ديننا ودنيانا وان يقوى شوكة المسلمين ، ويدفع عنا شر الباغين انه ولى المؤمنين .



اعداد الأستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : قام الرئيس انور السادات رئيس جمهورية مصر العربية بزيارة الى البلاد استغرقت يوما واحدا من الشهر الماضى حيث اجرى وسمو الامير المعظم مباحثات هامة حول الوضع العربى والدولى .

● قامت الكويت بعرض ورقة عمل على مجلس الجامعة العربية لتدعيم الصف العربى فى وجه التحديات الصهيونية على المستوى الدولى ..

● طلبت حكومة الجمهورية العربية اليمنية مزيدا من المنح الدراسية فى نطاق التعليم الجامعى والثانوى وترغب اليمن بالاستفادة من مناهج التعليم ونظمه المتبعة فى الكويت ..

● أصدرت وزارة التربية بيانا أوضحت فيه ملامح الحركة التربوية فى الكويت كما أوضحت أن عدد الطلاب للعام الدراسى الجديد سيبلغ حوالى (٦٥) ألف طالب بزيادة (٢٠) ألف عن العام الماضى ..

● رفعت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية مذكرة الى مجلس الوزراء بشأن مساعدة بعض الهيئات والجمعيات الاسلامية ..

● بدأت الدراسة فى الشهر الماضى بدار القرآن الكريم التى أقامتها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية وقد بلغ عدد المتقدمين (٦٢٠) طالبا ..

● استضافت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية عددا من العلماء لموسمها الثقافى فى شهر رمضان المبارك .

● اتخذت لجنة المعونات الاسلامية بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية عدة قرارات لمعونة بعض المحتاجين ..

● تبرعت الكويت بمبلغ ألفى جنيه استرلينى تشجيعا للمهرجان الاسلامى الذى سيقام فى شهر ديسمبر القادم ..

القاهرة : عقد فى الشهر الماضى بالقاهرة أول اجتماع لمجلس رئاسة اتحاد الجمهوريات العربية من رؤساء مصر وسوريا وليبيا .

● ستقام فى الصيف القادم على مستوى عال احتفالات مصر بالعيد الالفى للازهر وقد بدأ الاعداد لهذه الاحتفالات .

● ستقدم مصر عددا من المنح الدراسية لطلاب من عدة دول من آسيا وأفريقيا ..

● بعثت مصر عددا من القراء الى الدول الاسلامية لاحياء ليالى رمضان المعظم بقراءة القرآن الكريم .

السعودية : افتتحت فى الشهر الماضى الدورة الثالثة عشرة للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، وقد ناقشت الرابطة موضوعات اسلامية هامة واقتراحات من كبار الشخصيات الاسلامية .

● قام الرئيس مختار ولد داده رئيس الجمهورية الاسلامية الموريتانية بزيارة الى المملكة حيث أجرى مع جلالة الملك فيصل مباحثات استهدفت تدعيم العلاقة بين البلدين المسلمين ..

● تقرر اقامة معرض دولى اسلامى فى جدة خلال موسم الحج القادم ..

● خصصت الحكومة السعودية مبلغ (٢٠) مليون ريال لمساعدة الهيئات الاسلامية وستقدم الحكومة مبلغ (٥٠) ألف ريال لمجمع الهيئات الاسلامية فى ترينداد ..

الأردن : ندد مجلس الامن باجراءات اسرائيل لتهويد القدس وطالب بوقف هذه الاجراءات ..

● بدا العمل فى اعادة بناء قرية الكرامة التى هزمت فيها القوات الاسرائيلية فى معركة كبيرة فى مارس ١٩٦٨ أمام الجيش الاردنى والفدائيين متعاونين ..

العـــراق : تبرع العراق لوكالة غـوث اللاجئين الفلسطينيين بمبلغ مائة الف دولار كما تبرع بـ ٢٥ ألف دولار لمشروع تعليم أبناء اللاجئين الذى تنظمه الوكالة مع منظمة اليونسكو ..

ســـوريا : غيرت اسرائيل اسم مدينة الحمة الى (حمة غابر) زاعمة أنها من المواقع العبرية القديمة كما أغلقت مسجد المدينة ..

لبنـــــان : عقدت فى بيروت فى الشهر الماضى ندوة للخبراء العرب لتوحيد أســـماء المواقـــع الجغرافية العربية وكتابتها باللاتينية كما بحثت تغيير اسرائيل للاسماء العربية والمواقـــع الجغرافية بأسماء اسرائيلة ..

اتحاد امارات الخليج : من المنتظر أن يعلن اتحاد امارات الخليج العربى استقلاله قريبا ..

الســـودان : وعد الرئيس جعفر نميرى بدستور دائم للسودان وبالانضمام الى اتحاد الجمهوريات العربية فى العام القادم ..

ليبيـــا : أوقفت السلطات الليبية بعض الامريكيين والبلجيكيين ولبنانيا بتهمة توزيع منشورات دينيـــة خفيـــة ..

تـــونس : كلفت الجامعة العربية السيد محمد المصمودى وزير الخارجية التونسى أن يزور ليبيا والمغرب لتحسين العلاقات بين البلدين ..

● بعث الرئيس بورقيبة رسالة الى البابا بوليس السادس تتعلق باجراءات اسرائيـل لتهويد القدس باعتبار أن ذلك عمل يقلق المسلمين والمسيحيين على السواء ..

الجـــزائر : دعـــا الرئيس الجزائرى هوارى بومدين الى تقديم المسانـــــدة الى الفدائيين الفلسطينيين ، وقال : « ان حماية الثورة الفلسطينية واجب رئيسى لانها أفضل ضمان لتحقيق أمـــانى أمتنـــا » ..

● نصت قوانين التعريب فى الجزائر على تعريب كل مواد التعليم والغاء تعليم الفرنسية للطلاب الجدد وادخال الرياضيات ضمن دراسة العلوم الانسانية ..

المغـــرب : وقعت لجنة مغربية زارت تونس مؤخرا برنامجا للتعاون الثقافى وتبـــادل المنح الدراسية وبعثات الشباب بين البلدين ..

ايـــران : احتفلت ايران بذكرى (٢٥٠٠) سنة لقيام امبراطورية فارس ..

● بحث جلالة الشـــاه مع الرئيس يحيى خان ــ الذى زار ايران فى الشهر الماضى ــ تدعيم العلاقات بين البلدين كما بحثـــا المشكلات الاقليمية واطلع جلالة الشـــاه على الوضع فى باكســـتان ..

باكســـتان : أعلن الرئيس الباكستانى يحيى خان أنه يتم الآن اعداد دســـتور جـــديد لباكســـتان ..

● أتمت الاكاديمية الاسلامية فى دكـــا مشروع ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة البنغالية التى يتكلم بهـــا أكثر من ٦٥ مليون نسمة وقـــد بدأ هذا المشروع سنة ١٩٦٦ ..

أفغانســـتان : تأجل مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الى شهر مارس القادم وقـــد صرح تنكو عبد الرحمن سكرتير المؤتمر الاسلامى أن المؤتمر سيناقش قضية فلسطين والقضايا المشتركة للعالم الاسلامى والاماكن المقدسة ..

الفلبـــين : استمرت الاضطرابات فى اقليم (كوتاباتو) وقـــد راح ضـحيتها عـــدد من المســـلمين ..

واشـــنطن : أسس أمريكى مسلم هو السيد محمد طاهر هيئة للدعوة الاسلامية فى واشنطن هدفها تعريف الاسلام للشعب الامريكى ومعالجة المشكلات الامريكية على ضوء الدين الحنيف ..

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : مكتبة مكة ــ السيد عوض با عامر ــ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : مكتبة ومطبعة دبى ــ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

قطــر : مكتبة الثقافة ــ السيد سالم الانصارى ــ الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة عبد الرزاق الصحفية — الكويت